الباب الثاني

الآراء الكلامية عند الأمير شكيب أرسلان

الفصل الأول

ا - قضية الخلافة الإسلامية

في فكر الأمير شكيب أرسلان

- تمهيد
- حكم الخلافة في الإسلام
- معنى الخلافة
- قضية فصل الدين عن السياسة
- دفاع الأمير شكيب أرسلان عن الشريعة الإسلامية
  - رمي الشرع الإسلامي بالجمود لتعلقه بالمعاد والمعاش
  - الإستشراق والشريعة
  - حزب المتفرنجين
  - علاقة الدين بالسياسة في حضارة الغرب
- دفاع الأمير شكيب عن استقلال الشرع الإسلامي وأصالة منبعه
- الإجتهاد لا ينفي الطابع الإسلامي للتشريع
- صلاحية الشرع الإسلامي لكل زمان ومكان وواجب علماء المسلمين
- اشتراط القرشية في الخلافة
- تعقيب

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

١ - قضية الخلافة الإسلامية في فكر الأمير شكيب أرسلان :

- تمهيد

إن أهم القضايا التي شغلت فكر الأمير شكيب أرسلان قضية الخلافة الإسلامية ، وعلى الرغم أن مسألة الإمامة أو الخلافة ليس من أصول علم الكلام وإنما هي من فروعه «ويتحدث عنها المتكلمون [١] في علم خاص بهذه الأصول جريا على عادة المؤلفين في علم الكلام» [٢] إلا أنها استحقت أن تقفز في العصر الحديث إلى صدر القضايا التي شغلت علماء الإسلام ومفكريه ، فقد «تمخضت الحرب العالمية الأولى وما ترتب عليها وتلاها من تقلبات عن أخطر ظاهرة في حياة الإسلام والمسلمين ، فللمرة الأولى في حياتهم سقطت الخلافة ، بعد أن اتصلت حلقاتها خلال ثلاثة عشر قرناً ونصف القرن . تنقل مركز الخلافة فيها بين عواصم البلاد الإسلامية المختلفة ، ولكنه ظل في كل الأحوال رمزاً للرابطة التي تجمع بين المسلمين في شتى بقاع الأرض ، وظلت الدولة القائمة بأمر الخلافة مكلفة في نظر المسلمين برعاية شئونهم واسعاف منكوبيهم والأخذ بيد ضعيفهم وإقامة شريعة دينهم وشعائره» [٣]

---

١ - تناول (الإمامة) علماء العقيدة على إعتبار أنها مبحث من مباحثها ، مثلما فعل القاضي أبو بكر محمد بن الباقلاني (المتوفى عام ٤٠٣هـ) في كتابه «التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة» ، وأبو منصور عبد القاهر البغدادي (المتوفى عام ٤٢٩هـ) في كتاب «أصول الدين» ، وإمام الحرمين عبد الملك الجويني (المتوفى عام ٤٧٨هـ) في كتابه «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد» ، وأبو حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ) في كتابيه «فضائح الباطنية» و «الإقتصاد في الإعتقاد» وغيرهما .. كما كتب الفقهاء كتبا مفردة تعالج نظم الدولة الإسلامية منها «الأحكام السلطانية» للقاضي الشافعي أبي الحسن الماوردي (المتوفى سنة ٤٥٠هـ) وكتاب الإمام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) «السياسة الشرعية» .. كذلك عني المؤرخون بتتبع نظم الدولة الإسلامية على أرض الواقع التاريخي ، وقد جاءت مقدمة ابن خلدون (٨٠٨هـ) لتجمع بين التأصيل الفقهي والتطور التاريخي في عرض نظم الدولة الإسلامية . (د.محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي الإسلامي ، ص١٣/١٤) .

٢ - د. حسن الشافعي ، لمحات من الفكر الكلامي ، دار الثقافة العربية ، ص٣٥١ .

٣ - د. محمد محمد حسين ، أزمة العصر ، دار عكاظ للطبع والنشر ، ص٥٦ .

وكانت دولة الخلافة تقوم بواجبها كاملاً أو تفرط فيه وتتساهل في بعضه حسب الظروف والأحوال ، ولكن الدول الإستعمارية الغربية ظلت تكيل الضربات للخلافة في شكل موجات متتالية ، فرادى ومجتمعة منذ الحروب الصليبية التي اقترنت في الأذهان بالحقد والكراهية للإسلام وأهله إلى أن ألغيت آخر أشكالها (الخلافة العثمانية) في مارس عام ١٩٢٤م .[١]

وقد يبدو الأمر غير خطير إلى حد الإزعاج في أعين أبناء هذا الجيل ممن لم يعرفوا الخلافة الإسلامية ، وممن يتخيلون أنها طراز من الأشكال التاريخية التي طواها الزمن ، ولكن شعور الذين عاصروا الخلافة الإسلامية وولدوا في ظلها وعاشوا في دولتها كان مختلفاً جد الإختلاف ، فقد كانت في نظرهم وعاء للإسلام ، ورمزاً لوحدته ، وتحقيقاً لوجوده في الحياة .[٢]

وشكيب أرسلان كان واحداً ممن عاصروا (الخلافة العثمانية) عن قرب ، وعملوا على تثبيت أركانها والزود عن حياضها ، وكان يدرك أن إلغاء الخلافة ليس سوى مدخلاً إلى إتمام سيطرة الإستعمار الغربي على الجماعة والشرع والأرض ، إذ بسقوط الخلافة تصبح المجالات مفتوحة أمام الغرب لكي يحول أمة المسلمين إلى وحدات سياسية مستقلة عن بعضها ، وتصبح من خلالها مسألة عزل الشريعة قريبة المنال ، وبنتيجة ذلك تصبح الجماعة كلها سهلة الإنقياد والخضوع للغرب .

«وتحققت توقعات المعارضين لقرار الإلغاء إذ استتبع ذلك خطوات متتالية في الإتجاه نحو الفصل بين الإسلام والحكم ، وتحول الدولة إلى علمانية لادينية ، فقد ألغيت على إثر إلغاء الخلافة الشريعة الإسلامية من المحاكم ، ورفع التعليم الديني من الكتاتيب والمدارس ، وإجبار النساء على السفور وخلط الإناث والذكور في دور العلم ولبس القبعة والكتابة بالحروف اللاتينية ، كل ذلك بعد أن حذف من دستور تركيا المادة

---

١ - د. مصطفى حلمي ، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، دار الأنصار ، ص٥٣٨-٥٣٩ .

٢ - د. محمد محمد حسين ، أزمة العصر (مرجع سابق) ص٥٦ .

التي فيها «إن الإسلام هو دين الجمهورية التركية» [١]

كما هجمت على المسلمين ألوان من الفكر السياسي وتطبيقاته في نظم الحكم والإدارة فتن بها كثير من الناس فنشأ الخلاف حول تصور الأمة والدولة والوطن .

«وكأن إلغاء الخلافة كان إشارة البدء لتحولات عميقة الجذور في كيان الأمة الإسلامية كلها ، إذ انتقلت العدوى رويداً رويداً من تركيا إلى سائر البلاد ، واقتفت أثرها في معظم القرارات ، وإن لم تكن بقرارات رسمية ، فقد تمت عن طريق التقليد والمحاكاة» [٢]

وساهم العنف السياسي (السيطرة الإستعمارية والتجزئة) والتغريب في تدعيم عزل عناصر الشريعة ، وقيام دول حديثة على جثة الخلافة ، تستلهم النمط الغربي وتناقض الشريعة ، وتسعى في استمرارها على مبدأ (القوة المادية التي هي معبود الغربيين)[٣]

وأحس الأمير شكيب بأن تغلغل الاستعمار الغربي في بلاد الاسلام لن يقف عند الاستعمار السياسي والنهب الإقتصادي بل سيتجاوز ذلك إلى محاولة هدم كل ما يميز هوية هذه الدول ويضمن بقاءها تحت نير الإستعمار ، يقول الأمير متحدثاً عن الغربيين «أنهم غلبوا على هذه المستعمرات واستعبدوا هذه الأمم ، فيريدون أن يحتاطوا لأجل تأييد سلطانهم عليها بجميع الوسائل ، ولا يقفون عن شيء في سبيل إحكام سلاسل هذه العبودية ، ظانين أنهم يحفظونها راسفة في هذه الأصفاد إلى الأبد ، فتراهم يفكرون في تهيئة الأسباب لاستئصال كل ما يخشون وقوفه في وجه مآربهم السيئة ، من.دين ولسان، وقومية ، ووطنية .. » [٤]

لذلك حرص الأمير على وحدة المسلمين ، وسعى إلى معالجة دولة الإسلام لأنه

---

١ - تعليقات الأمير شكيب أرسلان ، جـ٣ حاضر العالم الإسلامي ص٣٥١-٣٥٣ .

٢ - د. مصطفى حلمي ، الخلافة (مرجع سابق) ص٥٣٩ .

٣ - تعليقات الأمير شكيب أرسلان ، جـ٢ حاضر العالم الإسلامي (مرجع سابق) ص٣٣٤ .

٤ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، جـ٢ ص٣٥١ .

رأى أن رد الغزوة الأوروبية أمر يتجاوز طاقة شعب مسلم بمفرده ، فلما رأى الكماليين باعوا تركيا لمبادئ الغرب ، وانحازوا عن الشرق ليرتموا في أحضان الحضارة الغربية ، ثار عليهم وأجهز على مصطفى كمالاورهطه فقال : «إن الذي قصده مصطفى كمال لم يكن سوى مجرد التفرنج ، وأن تفهم أوروبا أنهم هم نبذوا التقاليد الإسلامية ، ورموا بالشريعة القرآنية عرض الحائط ، وأقاموا مقامها قوانين أوروبية» [١] ثم قال : «إن الهدف من الكتابة التركية بالحروف العربية هو إقصاء الترك عن العرب ، وإبطال قراءة القرآن تدريجيا» [٢]

كما تصدى الأمير شكيب لقضية (فصل الدين عن الدولة) التي روج لها الغربيون في العالم الإسلامي وبين ما فيها زيغ وضلال ، كما أثبت أن أوروبا لم تفصل بين الدين والسياسة كما يزعم المضللون ، ودافع الأمير عن الشريعة الإسلامية دفاعاً حاراً في مواجهة المستشرقين والمتفرنجين مؤكداً صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وبين أن التعصب الإسلامي - في ما لو حدث - هو مجرد رد فعل لتعصب كانت الدول الأوروبية تبديه على الدوام ، لذلك قاوم الأمير البعثات التبشيرية لأنها رضيت أن تكون غطاء للأطماع الأوروبية .

«وكان الأمير يسعى إلى مؤتمرات المستشرقين ، ليناقش العلماء عن الإسلام والشرق ، ويصحح آراءهم» [٣] كما كان يتتبع كل ما يكتبه الغربيون عن الإسلام فيرد عليهم ويحتفل بالأمين منهم ويبين ما في دعاوي المغرضين من طعن في الإسلام وإيذاء للمسلمين .

وهكذا حلت مشكلات جديدة في الفكر الإسلامي نتيجة البحوث الفكرية التي خلفها الإستعمار لمعاونته في تمكين سلطته في رفعة البلاد الإسلامية ، وأصبح من الضروري أن يجابهها الفكرالاسلامي بطرق ملائمة لثقافة العصر وحضارته ، فانقلب

---

١ - المصدر نفسه ، جـ٣ ص٣٤٦ .

٢ - سامي الدهان ، شكيب أرسلان (مرجع سابق) ص٣٢٥ .

٣ - سامي الدهان ، شكيب أرسلان ، ص٣٢٥ .

العالم الإسلامي مدافعاً بعد أن كان ممسكاً بزمام الأمور مرهوب الجانب مسموع الكلمة[١]

وإذا كان علم الكلام كما يعرفه ابن خلدون : (علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة)[٢]

فإننا نعتبر جهود الأمير شكيب أرسلان الفكرية في مواجهة الفكر الغربي الوافد داخلة في إطار (علم الكلام) كما اقتضتها ضرورات العصر لمواجهة خصوم الإسلام ، وأداءً لواجب العلماء نحو دينهم وأمتهم .

وحديث الأمير شكيب أرسلان عن الخلافة حديث متشعب ممتد الأطراف إلى قضايا مختلفة تتصل بالأصول الثابتة التي تناولها علماء العقيدة ، وتتفرع في مواجهة خصوم الإسلام والدفاع عن شريعته وعلاج أزمة الخلافة في العصر الحديث .

وقد بينا في هذا الفصل آراء الأمير شكيب الكلامية عن القسم النظري في مسألة الخلافة ومكانتها من الشرع الإسلامي ، وحقيقتها ، وشروطها ، وأحكامها المختلفة . كما فصلنا القول في مواجهة الأمير شكيب أرسلان للشبهات التي أحاطت بها في العصر الحديث واستهدفت نفي الخلافة من الزمن والقضاء على ما يجدد شرعيتها في التاريخ ، مثل قضية فصل الدين عن السياسة ، والطعن في التشريع الإسلامي وقدرته على مسايرة العصر .

كما عرضنا موقف الأمير شكيب أرسلان من عقيدة القضاء والقدر التي حاول خصوم الإسلام أن يرجعوا إليها أسباب تخلف المسلمين ، وبينا موقفه الذي يهدف إلى إظهار مسئولية المسلمين عن واقعهم ، ونفي (عقيدة الجبر) التي تحبب الكسل

---

١ - د. مصطفى حلمي ، منهج علماء الحديث والسنة ، ص٧٠-٧١ .

٢ - مقدمة ابن خلدون ص٤٥٨ ط: المكتبة التجارية الكبرى - مصر .

والتواكل إلى كثير من المسلمين ، وهي شبهة من بين الشبهات التي أراد المستشرقون أن يلصقوها بالإسلام .

أما القسم العلمي التطبيقي الذي يمثل إجتهادات الأمير شكيب أرسلان في علاج أزمة الخلافة الشاغرة بما يراه من نظام آخر يحقق وحدة المسلمين وفق روح العصر مع التمسك بالأصول والمبادئ التي تقوم عليها نظم الدولة الإسلامية ، وتفردها بخصائصها التي تتميز بها عن سائر أنظمة الحكم الأخرى ، فسنبين ذلك في الفصل الذي يتناول الفكر السياسي عند الأمير شكيب أرسلان .

obeikandl.com

١ -قضية الخلافة الإسلامية فى فكر الأمير شكيب أرسلان

حكم الخلافة فى الإسلام

إن العرب لم تجتمع كلمتها إلا بدعوة دينية هى دعوة الإسلام ؛ فليس من عادة العرب قديما ولا حديثا التخاضع لملوكهم وأمرآئهم كما تتخاضع لامرائها و ملوكها سائر الامم ؛ بل تراهم لا يخاطبون أمراءهم و مشايخهم بألالقاب الضخمة ؛ ولا بالنعوت التى يخاطب غير العرب بها ملوكهم .

· لذلك لما قال كسرى للنعمان بن المنذر إن الروم و الفرس و الهند .. إلخ لها ملوك تجتمع على طاعتها ؛ وإن العرب لا يزالون فرقاً و حزقاً ليس لهم أمر جميع ولا ملك ضخم ، أجابه النعمان : إن الأعاجم تطيع ملوكها من استخذاء نفوسها وأما العرب فإنها أعز نفوساً و أحمى أنوفاً من ان تطيع ملكاً ، بل تجد العرب كلهم ملوكاً [١] وكما كان ذلك دليلاً على شمم العرب وعزة نفوسها فلا ينكر أنه كان العلة الأصيلة فى تحاسد هذة الأمة وتنافسها وحدة مناظرة بعضها لبعض وضعف قوتها ، وقد خبرها الشاعر الجاهلى الأفوه الأودى فقال :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولاسراة إذا جهالهم سادوا [٢]

وما ينطبق على العرب ينطبق على غيرهم ؛ فلولا الولاة لكان الناس فوضى مهملين وهمجا مضاعين، وقد أشار الىهذا المعنى ابن خلدون فقال : "ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم ، فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست آلة السلاح التى جُعلت دافعةً لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية فى دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم ، فلا بد من شئ آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض .

---

[١] تعليقات الأمير شكيب أرسلان على حاضر العالم الاسلامى حـ٤ص٦٩

[٢] الاحكام السلطانية، ابو الحسن الماوردى ص٥

ولايكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة ،حتى لايصل أحد إلى غيره بعدوان ، وهذا هو معنى الملك..." [١] .

لذلك رأى البعض أن الإمارة إنما وجبت بالعقل لمافى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم فى التنازع والتخاصم... وإلى هذا المعنى أشار ابن خلدون فى مقدمته حيث قال :" وقد ذهب بعض الناس إلى أن مُدركَ وجوبه (نصب الإمام) العقل وأن الإجماع الذى وقع إنما هو قضاء بحكم العقل فيه" [٢] .

غير أن الاجماع واقع على ان نصب الإمام واجب قد عُرف وجوبه فى الشرع باجماع الصحابة والتابعين [٣] ؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر إليه فى أمورهم .

"وكذا فى كل عصر من بعد ذلك. ولم تترك الناس فوضى فى عصر من الأعصار. واستقر ذلك إجماعاً دالا على وجوب نصب الإمام " [٤] .

وقد جمع شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية بين العقل والشرع فرأى أن وجوب الإمامة مشروع بالعقل المستند إلى النصوص الدينية فقاس وجوب رئاسة الدولة الإسلامية على وجوب تأمير الثلاثة أحدهم إذا خرجوا فى سفر لما فى الامارة من مصلحة للمسافرين ناهيك عن الأمة ، فقال : "ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لاقيام للدين إلا بها فإن بنى آدم لاتتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولابد لهم عندالاجتماع من رأس حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم " إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم " [٥] .

ومن النصوص التى يستند إليها قوله تعالى :(ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) يقول الماوردى : "ففرض علينا " [٦] ووجوب الطاعة يقضى وجوب المطاع .

---

[١] مقدمة ابن خلدون ، حـ١ ص ٧١ ،٧٢

[٢] ا لمرجع السابق حـ١ ص٣٤٠

[٣] ا لماوردى ، الاحكام السلطانية ص٥ / مقدمة ا بن خلدون ص ٣٣٩

[٤] مقدمة ا بن خلدون ، ص ٣٣٩

[٥] رواه أبو داود من حديث أبى هريرة عن السياسة الشرعية ص١٦١

[٦] ا لماوردى ، الأحكام ا لسلطانيه ص٥ (٣) تاريخ ابن خلدون ملحق الجزء الأول الأمير شكيب ص٢٣

والأمير شكيب يرى أن وجوب الخلافة فى الإسلام أمر مسلم به ، اتفق عليه المسلمون ـ إلا الخوارج والمعتزلة ـ ويرى أن علماء الإسلام أمثال ابن خلدون والماوردى وغيرهم كابن تيميه قد وفوا البحث فى هذا الأمر حقه وأثبتوا وجوب نصب الإمام بكل ما يجب إن يقال [١] .

معنى الخلافة

يقول الأمير شكيب: " اتفق المسلمون ـ إلا الخوارج والمعتزلة ـ على وجوب نصب الامام لحراسة الدين والدنيا، فكان هذا المنصب جامعاً بين السلطة الروحية ـ لكن بدون العصمة التى يقول بها الكاثوليكيون فى البابا ـ وبين السلطة الدنيوية وهى مايسميه النصارى بالسلطة الزمنيه ـ لكن بدون الامتيازات التى تسجلها القوانين الأوربية " [٢] . والأمير بتعريفه هذا للخلافة يتقيد بالتعريف المتفق عليه بين علماء المسلمين عند حديثهم عن الخلافة حيث يعرفها أبو الحسن الماوردى فى صدر كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينيه بقوله : " الإمامة موضوعه لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا " [٣] .

---

[١] أ ـ يقول ابن خلدون : " وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأسا لابالعقل ولا بالشرع ؛ منهم الأصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم ؛ والواجب عند هؤلاء إ نما هو إ مضاء أحكام الشرع ، فإ ذا تواطأت الأمة على العدل وتنفيذ أحكام الله تعالى لم يحتج إلى إمام ولايجب نصبه . وهؤلاءمحجون بالاجماع" ابن خلدون ـ المقدمة مج ١ط ٣ص٣٤٠ ـ ٣٤١

ب ـ وفى العصر الحديث خرج الشيخ على عبد الرازق ، أحد علماء الأزهر وأحد قضاة المحاكم الشرعية سنة١٩٢٥م بكتابه "الإسلام وأصول الحكم ـ بحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام" . وفيه يتابع الشيخ رأى القائلين بعدم وجوب الإمامة، ويعكس الكتاب نزعة "الدولة القومية الدستورية العلمانية" أو البعيدة عن أى صبغة دينيه ـ وهى نزعة مستوحاة من مثيلتها فى التاريخ الأوربى الحديث، مع الفارق الضخم بين الخلافة فى الإسلام والبابوية فى المسيحية..(د. محمد فتحي عثمان ، من أصول الفكر السياسي ، مؤسسة الرسالة ، ص ٥٧) . وقد ورد عليه كثيرون منهم الشيخ محمد الخضرى حسين والشيخ ممحمد بخيت، والسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، ورد عليه حديثاً الدكتور محمد البهى رئيس جامعة الأزهر فى كتابه " الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار لغربى" وفيه يصف الكتاب بانه يحكى عن الغرب أكثر مما يتحدث من جوهر الإسلام ذاته (الفكر الإسلامي الحديث ، هامش ص ٢٠٧) وقد شك الأستاذ ضياء الدين الريس أن يكون عبد الرازق مؤلف الكتاب فى كتابه (الإسلام والخلافة فى العصر الحديث) ...

[٢] تاريخ ابن خلدون ملحق الجزء الاول لشكيب ارسلان ص٢٣

[٣] الاحكام السلطانية ص٣

وكما عرفها ابن خلدون مبيناً حقيقة منصب الإمام بأنه "نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين، وسياسة الدنيا به ، تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإماما. فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة فى اتباعه والاقتداء به؛ ولهذا يقال : الإمامة الكبرى. وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبى فى أمته، فيقال : خليفة باطلاق.." [١] .

فالخلافة إذن نمط فريد من أنماط أنظمة الحكم، وإن اصطلح على اطلاق لقب الخلافة على رئاسة الدولة الإسلامية، وأصبح الخليفة لقب لمن يضطلع بولاية أمور المسلمين، غير أن "الخلافة لم تستتم شروطها الصحيحة إلا فى الخلفاء الراشدين، وبعد ذلك فالخلافة لم تكن الا ملكا عضوضا قد يوجد فيه المستبدالعادل والمستبد الغاشم، ومالانقادت الأمة إلى هذا الملك العضوض المخالف لشروط الخلافة، سواء كان من العرب أو من الترك، إلا خشية الفتنة فى الداخل والاعتداء على الحوزة من الخارج" [٢] .

وقد فهم الأمير شكيب حقيقة الخلافة على أنها ليست عبارة عن صفة تمتاز بها احدى الحكومات الإسلامية بل هى "عبارة عن كون حكومة مانائية مناب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القيام بأحكام الشرع الإسلامى، فلها ركنان حكومة ونيابة" [٣] .

وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم مكانة خلفائه منه فقال : " كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وإنه لانبى بعدى وستكون خلفاء فتكثر ..." [٤] . فخلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة أنبياء بنى اسرائيل من رسلهم حيث يحكمون بالتوراة التى أنزلها الله على موسى وهؤلاء يحكمون بالقرآن الذى أنزله الله على النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم، غير أن هؤلاء الخلفاء أو الأئمة لايوحى إليهم فهم ليسوا بأنبياء ، وهم بالتالى ليسوا بمعصومين إلا من عصم الله [٥] .

---

[١] تاريخ ابن خلدون مج ١ طب١٩٨١ ص٣٣٩

[٢] حاضر العالم الاسلامى ص٢٩٠ هامش لشكيب أرسلان

[٣] الشيخ مصطفى صبرى،النكير على منكرى النعمة ص١٤٥

[٤] حديث مسلم فى كتاب الامارة .

[٥] محمود المرداوى - الخلافة بين التنظير و التطبيق ص ١٦

والأمير يؤكد أن الإسلام وإن جمع للخليفة بين السلطتين الروحية و الزمنية إلا أنه لم يعطة العصمة التى يقول بها الكاثوليكيون فى البابا و لا الامتيازات التى تسجلها القوانين الاوربية للملوك " و كان الخلفاء يفهمون حقيقة منصبهم على هذا النمو كما بينة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنة لمّا بويع وقام خطيباً فكان مما قال " كان رسول الله عبداً أكرمه الله بالوحى و عصمه به ، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم ، فراعونى فإذا رأيتمونى استقمت فاتبعونى وإن رأيتمونى زغت فقومونى " [١] .

و كان عامة المسلمين لا يرون فى خلفائهم فضلاً ولا يقرون لهم بطاعة إلا بمقدار استقامتهم على الشرع ؛ و قيامهم بواجبات النيابة ؛ { وكانو فى العصر القديم يقولون لعمر بن الخطاب و هو يخطب " لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا " . وكان الأحنف يقول لمعاوية و الله يا معاوية إن السيوف التى قاتلناك بها لهى فى اغمادها" [٢].

" وخطب ابوجعفر المنصور و لم يكن من الخلفاء الراشدين بل من الخلفاء القاسطين فقال ((ايها الناس اتقوا الله)) فقام الية رجل من عرض الناس فقال له ((اذكرك الله الذى ذكرتنا به)) فأجابه الخليفة ((سمعاً سمعاً لمن ذكرنا بالله)) " [٣] .

و قد هاجم بعض أصحاب الفكر من الأوربيين الإسلام ورموه بالجمود لأنه جمع بين السلطتين الدينية والدنيويه فكان هذا عائقا للممجتمع الإسلامى عن الترقى، وسببا فى تقهقر المسلمين، وقد وافق بعض المسلمين هؤلاء الطاعنين فى الشريعة الإسلامية ودعوا إلى فصل الدين عن السياسة ونجحوا فى ذلك فى معظم أقطار الشرق الإسلامى، وكان فى طليعة هؤلاء المسلمين الجغرافيين كما يسميهم الأمير شكيب ـ الأتراك الأنقريون شيعة مصطفى كمال أتاتورك ، وقد هاجم الأمير شكيب أرسلان الفريقيين وبين ما فى قولهم من تحامل على الدين الإسلامى وأن فى جملة " فصل الدين عن السياسة " من السفسطه التى لاتستند على شئ من الواقع، وهو قول مخالف لسنة الله فى خلقه، إذ أن الدين متصل بالدنيا فى كل مجتمع بشرى، والدنيا ممتزجة بالدين بدون انفكاك ولايتصور وجود أحدهما بدون الآخر [٤] .

---

[١] شكيب ارسلان التعليقات على تاريخ ابن خلدون ص ٢٦

[٢] ، [٣] شكيب ارسلان حاضر العالم الاسلامى ح ٤ ص ٦٩

[٤] تعليقات الأمير شكيب على تاريخ ابن خلدون ملحق الجزء الأول ص٢٣

ومن مناقشة الأمير لخلط الأوربيين فى الشرع الإسلامى ومروجيه من المنتسبين إلى الإسلام يتجلى لنا مذهب الأمير فى الخلافة الإسلامية وما ينبغى ان تحيط به من أمور المعاش والمعاد .

قضية فصل الدين عن السياسة

قضية فصل الدين عن الدولة مرتبطة بأزمة الخلافة فى العصر الحديث، فمنذ العصور العباسية المتأخره، تسلط على المسلمين حكام انحرفوا عن عدالة الإسلام وقيمه وأحكامه، وإن انتسبوا إليه وحكموا باسمه وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كانت تمثل درع الإسلام الحامى وترمز لوحدة المسلمين حتى فى أيام ضعفها، فإن معظم حكامها المتأخرين أصاروا كثيرا من أحقاد المسلمين داخل دولتهم وخارجها بسبب سوء سياستهم وأستبدادهم وغفلتهم وغشمهم [١] . ولكن ذلك لم يؤثر على مشاعر المسلمين الدينية من قابلة الخلافة وقد كان ولاء الجماعة المسلمة للدولة كمؤسسة سياسيه فى مرتبة ثانويه بالمقارنه مع ولائها لمرتبة الشرع وما تمثله الخلافة الدينية فى نفوس الجماعة، بل كان تمسك الجماعة الإسلامية بالشرع هو سلاح الجماعة الأمضى فى مواجهة هزال الدولة والخوف من أنهيارها. مما يعنى أن تبعية المجتمع الفعلية هى للدين وليس للسياسة، وعلى هذا يقوم الإتحاد بين الدين والسياسة فى الإسلام مما يشير إلى استحالة الفصل بينهما حيث تستند قوة الدعوة على القيم الإيجابية للأخوة والجماعة والوحدة . بسبب ذلك استنفر الغرب كل قواه لكى يلغى خضوع السياسة للدين فى الإسلام، فكان الاصرار الغربى على إلغاء الخلافة أولا، وقيام الدولة العلمانية الحديثة المستلهمة من الخارج ، ثانياً . ومنذ خلع الثوار العسكريون أعضاء جمعية الاتحاد والترقى السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨م ثم أعادو خلعه مره اخرى نهائيا فى العام التالى وولوا غيره أصبحت الخلافة العثمانية مجرد شبح روحى هزيل إذ قبض الثائرون العسكريون على السلطة الفعليه وهم وحدهم الذين يتحملون مسئولية الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى سنة١٩١٤ ـ ١٩١٨م ، إذ لم يكن للسلطان محمد رشاد الملقب بمحمد الخامس الذى خلف عبد الحميد من السلطة إلا الاسم " .

---

[١] د. محمد فتحى عثمان / من أصول الفكر السياسي الإسلامي / ص٤٧

" وحين قام كمال اتاتورك يقاوم الحلفاء المنتصريين الذين أرادوا فرض شروطهم القاسية على العثمانين المنهزمين أجبر الحلفاء الذين كانوا يحتلون الأستانة السلطان محمد السادس الذى تولى وقتذاك وكان واقعا تحت تأثيرهم - أجبروه على استنكار مقاومة أتاتورك."

" وحين أنتصر أتاتورك سنة ١٩٢٤ بادر إلى إعلان الجمهورية وعزل الخليفة الأخير عبد المجيد الثانى وألغى الخلافة من بلاده، ليقيم دولة مستقلة محدوده على أساس القومية "[١] .

وبسقوط الخلافة أصبحت المجالات مفتوحة أمام الغرب لكى يحول أمة المسلمين إلى وحدات سياسية مستقلة عن بعضها ، وتصبح من خلالها مسألة عزل الشريعة قريبة المنال .

ولم يكن القبول بالأمر الواقع ممكناً بالنسبة للمسلمين دون البحث عن مخرج، فالخلافة تراث تنظيمى ارتبط بمشاعر المسلمين طوال القرون، وكان رمزا لوحدتهم ودرعا لدينهم وكيانهم الدولى، وكان لإلغاء الخلافة ردود فعل قوية بين المسلمين فى عدد من الأقطار الإسلامية وفي مقدمتها الحجاز ومصر والهند [٢] .

هنا جاء دور الدعايات التى أخذ يبثها أعداء الإسلام ورواد الاستعمار الأوربى ويدخلون بها على ناشئة المسلمين " بالشبه التى تكره إليهم الشرع الإسلامى وتحبب إليهم المروق منه، وهذا جعل ما تبغيه أوربا من الدعاية فى هذا العصر بين المسلمين لمعرفتها أنه مادام الشرع المحمدى هو مدار العمل عند المسلمين كان هؤلاء يرون خضوعهم للأجانب ذنباً لايغفره الله لهم إلا بالإستقلال التام وعارا عليهم لايرحضه ألا طرد الأجنبى المتغلب من المستعمرات التى تغلب فيها عليهم. وأية مصيبة على أوربة أعظم من هذا ! " [٣] .

ومن جملة هذه الدعايات والدسائس قضية " فصل الدين عن السياسة" " وزعم الفئة الدساسة من رواد الأستعمار وأعداء الإسلام أن أوربا قد فصلت الدين عن السياسة بتاتاً وطلقت هذه من هذا ثلاثاً وأنه لم يبقى من يخلط الدين بالسياسة ويجعل للحكومة صبغة دينيه إلا المسلمون الذين لم ينظروا إلى ما حولهم من المحدثات العصرية التى من جملتها جعل الدين فى واد والسياسة فى واد " [٤] .

---

[١] ، [٢] من أصول الفكر السياسى الإسلامى / المرجع السابق / ص٤٩

[٣] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى ، ص٣٥٠ جـ ٣

[٤] حاضر العالم الإسلامى، شكيب أرسلان، ج٣ ص٣٥١

ولقد لاحظ الأمير شكيب أرسلان خطر هذه القضية مبكراً، لذلك فهو يؤكد أن الداعين إلى فصل الدين عن السياسة لابد أن يكونوا عملاء للاستعمار الغربى وأعداء للإسلام لأن فصل الدين عن الدولة ليس مجرد بديل " غربى" عن الخلافة، بل محاولة مقصودة للحيلولة دون عودة هذه الخلافة فى يوم من الأيام، إذ لايكفى نفى " الخلافة" من الزمن وإنما هم الغرب الأول القضاء على ما يجدد شرعيتها فى التاريخ. وهذا ما يفسر تلازم سقوط الخلافة مع تغريب الشرع.

وهذا ما دفع الأمير إلى توجيه كلمة إلى مثقفى الدولة الحديثة ممن انتسبوا إلى الإسلام وتأثروا بالدعايات الغربية فدعوا إلى نهضة قومية فى البلاد الإسلامية ترفض كون القرآن أصل تشريعى للسلطة السياسية أقتداءً بأوربا التى نزعت من حكوماتها كل صفة مسيحية فى نهضتها الحديثة فكتب الأمير مخاطباً هؤلاء :

" يقول بعض الناس ما لنا وللرجوع إلى القرآن فى أبتعاث همم المسلمين إلى التعليم فإن النهضة لاينبغى أن تكون دينيه بل وطنية قومية كما هى نهضة أهل أوربا ، ونجيبهم أنّ المقصود هو النهضة سواء كانت وطنيه أم دينيه على شرط أن تتوطن بها النفوس على الخب فى حلبة العلم، ولكننا نخشى إن جردناها من دعوة القرآن أن تفضى بنا إلى الإلحاد والإباحية وعبادة الأبدان واتباع الشهوات، مما ضرره يفوت نفعه، فلا بد لنا من تربية علميه سائرة جنبا إلى جنب مع تربيه دينيه، وهل يظن الناس عندنا فى الشرق أن نهضة من نهضات أوربا جرت دون تربية دينيه ؟ وهل جرت نهضة اليابان دون تربية دينيه ؟ " [١] .

ويستدل الأمير على أرتباط أوربا بالدين المسيحى بكلمات لبعض ساسات أوربا الكبار، وبأن علم اللاهوت مازال يدرس فى كل جامعات أوربا .

ثم يفسر الأمير مراد الأوربيون من قولهم : (نهضة وطنيه) أو (نهضة قومية) أو جامعة وطنيه أو قوميه، لايكون مرادهم بالوطن التراب والماء والشجر والحجر، ولا بالقوم السلالة التى تتحدر كلها من دم واحد، وإنما الوطن والقوم عندهم لقطتان تدلان على وطن وأمة بما فيهما من جغرافية وتاريخ وثقافة وحرث وعقيدة ودين وخلق وعادة مجموعاً ذالك معاً، وهذا الذى يناضلون عنه ويستبسلون كل هذا الأستبسال من أجله [٢] .

---

[١] ، [٢] لماذا تأخر المسلمون، شكيب أرسلان، ص١٣٦

فالأمير لايمل من عرض الشواهد والدلائل على كذب من زعم أن نهضة أوزبا مبنية على تقصيها من كل نزعة مسيحية وأنها لاتعرف شيئاً إلا الأنسانيه العامة، وأن الدين المسيحى لاتهتم به حكومة من حكومات أوربا أكثر مما تهتم بغيره من الأديان.

وكان الأمير ممن فهموا فظاعة الفتنة اللا دينيه فى تركيا وتوقعوا أنفراط عقد الإسلام عروة عروة " ولقد روج هذه الأغلوطة مصطفى كمال رئيس جمهورية أنقره لغرض فى نفسه من جهة سلخ الترك تدريجيا عن العقيدة الإسلامية وصرفهم عن اللغة العربية فسار بتركيا سيرة من يجعل الدين الإسلامى أجنبيا عن الحكومة التركية كما أن الدين المسيحى هو أجنبى عن الحكومات الأوربية الراقية.." [١] .

يرى الشيخ مصطفى صبرى أن المروجين لفصل الدين عن الدولة أحد أثنين: إما مستبطن للألحاد أو جاهل بمعنى مايقول لأن ترويج الفكرة لايتفق مع الإيمان بأن الدين منزل من عند الله عز وجل، وأن أحكامه المذكورة فى الكتاب والسنة أحكام الله تعالى بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم [٢] . ويؤيد ماذكره الشيخ ماآلت إليه الدولة فى تركيا من الأحوال الادينيه، فلم يكن فصل الدين عن الدولة إلا مقدمة لإلغاء جميع ماتشتم منه رائحة الإسلام من أوضاع الحكومة التركيه، وهو ماعدده الأمير شكيب فى حديثه عن ما أحدثه مصطفى كمال وحزبه المسمى " مخلق فرقة سى " فقال عنهم أنهم أبطلوا المحاكم الشرعية بعد أن أبطلوا العمل بالشريعة وألغوا الوزارة التى كان أسمها " مشيخة الإسلام "، وحزفوا من دستور تركيا المادة التى فيها " إن الإسلام هو دين الجمهورية التركيه". وكانوا على مدة بضع سنوات أبطلوا أقامة مراسيم العيدين النحر والفطر [٣] .

" وأما الكتابة التركيه بالحروف العربية: فقد كان تعليلها فى ظاهر الحال تسهيل التعلم على الناشىء وتقصير المدة اللازمة للقراءة ولكن الغرض الحقيقى منها أقصاء الترك عن العرب وإبطال قراءة القرآن تدريجيا وأهم من ذا وذا إقناع أوربا بأن تركيا قد تفرنجت تماما وأنه صار من العدل أن تدخل فى العائلة الأوربيه ولهذا الغرض الأخير نفسه حمل مصطفى

---

[١] حاضر العالم الإسلامى ، شكيب أرسلان، جـ ٣ ص ٣٥١

[٢] موقف العقل والعلم ، الشيخ مصطفى صبرى جـ ٤ ص ٢٩٤

[٣] حاضر العالم الإسلامى ، جـ ٣ ص ٣٥١

كمال الأتراك على لبس القبعة ليزدادوا إندماجاً فى الأوربيين " [١] .

ويدافع الأمير عن الشعب التركى المسلم فينفى عنه أن يكون الأتراك راضين مغتبطين بإلغاء الشريعة الإسلامية من المحاكم ورفع التعليم الدينى من الكتاتيب والمدارس وإجبار النساء على السفور وخلط الإناث والذكور فى دور العلم وحمل الأوانس على الزفن مع الشبان ولبس القبعة والكتابة بالحروف اللاتينيه إلى غير ذلك مما أحدثته الحكومة التركيه (الأنقريه) الكماليه ..... ويأكد الأمير أن العقيدة الإسلامية لم تزعزها حتى الأن فى تركيا هذه السياسة اللادينيه ولايزال الشعب التركى شديد الإعتصام بعروة الدين الوثقى تدل على ذلك مظاهره الدينيه فى استنبول وغيرها مما لم يخف على الأفرنج الذين أشاروا إليه فى جرائدهم [٢] .

ولكن الأمير حذر من الخطر الذى يهدد إستمرار تمسك الشعب التركى بعقيدته الإسلاميه إن أستمر الحكم اللادينى مدة طويله ونشأة الأفواج الجديدة على ماهى عليه من فقد التعليم الدينى [٣] .

ويرد الأمير زعم الأنقريين أن الحكومات الاوربيه قد ألغت التعليم الدينى من مدارسها، فالحكومات الكاثوليكيه بأجمعها مرتبطة أشد الأرتباط بالدين الكاثوليكى، بما فى ذلك الحكومة الفرنسية التى لاتوجب التعليم الدينى فى المدارس الرسمية إلا أنها لاتعارضه فى غير المدارس الرسميه بل التعليم الدينى مالئ فرنسا بواسطة المدارس الأهلية [٤] ، فالدول الأوربيه وحكوماتها لم تقطع الصلة بالدين بل تحرص الحكومات الأوربيه دائما أن تظهر فى كل فرصه بمظهر دينى مسيحى، ويسوق الأمير من الشواهد الكثير ليدلل على أرتباط الحكومات الأوربيه بالدين المسيحى وكذب الزاعمين بغير ذلك .

ويرى الأمير أن كل مافعلته أوربا من فصل الدين عن السياسة مجرد الفصل الإدارى كما هناك فواصل فى سائر فروع الإدارة بعضها عن بعض وأنه ليس من المعقول أن الدولة الراقية لا تكترث لأمور الدين وهوالذى يحيا ويموت السواد الأعظم من رعاياها، فالدولة التى

---

[١] المرجع السابق جـ ٣ ص ٣٥٢

[٢] ، [٣] حاضر العالم الإسلامى ، جـ ٣ ص ٣٥٣

[٤] المرجع السابق ، جـ ٣ ص٣٦٠

لاتهتم بأمور رعاياها الدينيه تكون جاهلة معنى السياسة بالمرة [١] .

" ومما لامشاحة فيه أن بين الديانة والسياسة فصلا اداريا بحيث كل منهما لها دوائر تختص بها . ولكن مرجع الجميع إلى الحكومة، والحال فى بلاد الإسلام لاتختلف عن ذلك. فمشيخة الإسلام منفصلة عن سائر النظارات المدنية " [٢] .

" وخلاصة القول أن فصل الدين عن السياسة لم يكن معناه فى اوربا والممالك المتمدنة إهمال الدين ولاتجريد الحكومات من صبغته إذ أن الحكومات إنما هى ممثلة للشعوب فكما تكون الشعوب تكون الحكومات وما دامت شعوب اوربا وامريكا مسيحيه فحكومات هاتين القارتين مسيحية قولا واحدا . ومادامت أمة اليابان طاوية فحكومتها طاوية وما دامت الصين بوذيه فحكومتها بوذيه ومادام أهل صيام يعبدون الفيل الأبيض فحكومتهم تسجد للفيل الأبيض" [٣] .

إذاً خرافة فصل الدين عن الدولة أو السياسة فى أوربا التى لايزال تشدق بها بعض المضللين فى الشرق ليس لها أصل إلا بالمعنى الإدارى الذى هو جار أيضا فى بلاد الإسلام [٤] .

ومن أهم الأدلة التى يستشهد بها الأمير وتدل دلالة صارخة على تمسك الأوربيين بالديانة المسيحيه بل وتعصبهم لها ؛ عضد.الدولة الأوربيه للرسالات التبشيريه بالدين المسيحى [٥] مما دفع الأمير إلى أن يتساءل " فإن كانت الأديان عند الدولة الافرنسيه على حد سواء فلماذا هذا الأجتهاد فى تنصير البربر وهم مسلمون؟ ولماذا هذه المساعى الحثيثه فى تنصير العلويين سكان جبال اللاذقية وفى فصلهم عن الوحدة مع سوريا والحال أن العلويين هم فرقة من الفرق الإسلامية كما لايخفى " [٦] .

---

[١] المرجع السابق ، جـ ٣ ص٣٥٧

[٢] حاضر العالم ، شكيب أرسلان ، جـ ٣ ص٣٦٠

[٣] المرجع السابق ، جـ ٣ ص ٣٥٨

[٤] (يقول شكيب : " وقد كان فى الدولة العثمانيه كما يعلم كل أحد. فالصدر الأعظم كان ينظر فى الأمور السياسية والإداريه خاصة وشيخ الإسلام كان ينظر فى الأمور الشرعية والدينيه خاصة، وكل من المرجعين كان يعود إلى السلطان) تعليقات الأمير على أبن خلدون ص٢٣

[٥] حاضر العالم ، شكيب أرسلان ، جـ ٣ ص ٣٥٧

[٦] لماذا تأخر المسلمون ؟ شكيب أرسلان ص١٣٨

كما ينصح الأمير الأنجليز بالعدول عن دعايتهم الدينيه فى السودان والأوغانده وينصح لهولاندة بترك دعايتها الدينيه بين مسلمى أندونسيا " [١] .

وهكذا يكذب الأمير إدعاءات المضللين وعلى رأسهم حكومة تركيا الكماليه فى قولهم أن الحكومات الأوربيه لاسيما الراقية منها لاتعنى بأمور الديانة المسيحيه، ويعلن الأمير ذلك صراحة فيقول : " وحكومة تركيا الكماليه لاتصدق رعيتها القول أصلا عندما تقول لهم أن دول أوربا قد نبزت الديانة المسيحيه ظهريا وأن رقيها المادى لم يتهيأ لها إلا بنبذ العقائد الدينيه " [٢] . ويسخر الأمير من حكومة أنقره التى أعلنت كونها حكومة لادينيه عملا بمبدأ فصل الدين عن الساسه - ومعناه أستقلال كل من الدين والحكومة عن الأخر ومساواتهما فى هذا الأستقلال، بألا يتدخل كل منهما فى أمر الأخر وإن كانت هذه المساواه أيضا مما لايرضاه الإسلام الذى لايرضى الكفر [٣] - وهى نفسها - اى الحكومة الأنقريه - لاتزال كل يوم تصدر أوامر وتسن قوانين متعلقة بأمور دينيه محضه من جملتها الصلاة باللغة التركيه التى من أجلها ثارت الأفكار فى تزكيا فى هذه الأيام ورفض الأكثرون امتثال أوامر الحكومة بها وقالوا أنه لابأس بأن يلقى الخطيب خطبة الجمعة بالتركى فإن الصلاة نفسها بالتركى فهى مخالفة للسنة [٤] .

ويرى الأمير أن الحكومة التركية الكماليه تناقض نفسها بنفسها عندما تدعى الأقتداء بالحكومات الراقية فى فصل الدين عن السياسة وهى تتدخل كل يوم فى الأمور الدينية الصرفة، ويرى الأمير أنه كان من الأولى بهم انسجاما مع مذهبهم أن يتركوا هذه الأمور لرؤساء الدين وحدهم . والحق أن تدخل الحكومة فى أمر الدين لايعد تناقضاً فى نظر الأنقريين لأنهم وضعوا الدين تحت أمر الحكومة، فمسألة الفصل بين الدين والسياسة ترمى إلى أكثر من مساوتهما فى الاستقلال وأمر " لأن السياسة التى يتولاها جانب الحكومة ويتخلى عنها جانب الدين عند الفصل والتى معناها السيادة والإشراف على كل من يدخل تحت سقف البلاد، لابد أن تضع الدين تحت أمر الحكومة ونهيها مع كل مايدخل تحت ذلك

---

[١] لماذا تأخر المسلمون ؟ شكيب أرسلان ص١٣٨

[٢] حاضر العالم ، شكيب أرسلان جـ ٣ ص ٣٥٩

[٣] الشيخ مصطفى صبرى، موقف العقل جـ ٤ ص٢٩٣

[٤] حاضر العالم ، جـ ٣ ص ٣٥٩

السقف ومجرد هذا الوضع ينافى عزة الإسلام الذى يعلو ولا يعلى عليه كل المنافاه ويوجب الكفر، حتى واو فرض أن الحكومة تحترم دين الأمه دائماً وتخدمه ولاتمسه بشيء من الإضطهاد مع كونها قادرة عليه، من حيث أن سياسةالبلاد بيدها لابيد الدين" [١] .

ويقرر الأمير أنه يوجد فى أوربا أقوام يجاهرون بعدم الاعتقاد ويناصبون الأديان وبخاصة الديانة المسيحيه. ولكن هذا الجنس من الأوربيين لايزال قليلا بالنسبة إلى السواد الأعظم، والأوربيون يعلنون بأجمعهم أن ثقافتهم هى الثقافة المسيحية وأن مدنيتهم هى المدنية المسيحية وأن حكومتهم هى الحكومات التى يتألف منها ما يقال له" العالم المسيحى " [٢] . ثم يؤكد الأمير أنه ليس فى الدنيا سوى ثلاث حكومات تناهض الدين باطنا وظاهرا، وهى الجمهورية الحمراء الروسية والجمهورية الكمالية الأنقريه وحكومة المكسيك [٣] . ويذكر الأمير الأسباب التى دعت الحكومات الثلاث- إلى نبذ الديانة وأقامة الدول اللادينيه وهى أسباب استبداديه ليس للأديان دخل فيها" وقد يكون فصل الدين عن الدولة أضر بالإسلام من غيره من الأديان لكون الإسلام لاينحصر فى العبادات بل يعم نظره المعاملات والعقوبات وكل ما يدخل فى أختصاص المحاكم والوزارات ومجالس النواب والشيوخ فهو عبادة وشريعة وتنفيذ ودفاع، ويكون عموم نظر الإسلام هذا لكل شأن من شئون الدولة معابة عليه فى زعم المروجيين لفصل الدين عن الدولة، ومعابة تؤكد لزوم الفصل ، فى حين أن ذلك مزية للإسلام تصعده إلى سماء الرجحان بالنسبة إلى سائر الأديان، وتكون أمنع مانع لمبدأ الفصل " [٤] . وبعد أن يعدد الأمير مواقف الدول الكاثوليكيه بإزاء الدين المسيحى ويثبت أنها بأجمعها على أشد مايكون من الاعتصام به ، يقيم الأدلة من أقوال المصلح المسيحيى الأشهر " كلفين " على تلازم السلطة السياسية مع السلطة الروحيه لتحقيق العدالة وتنفيذ إرادة الله [٥] . لأن الحكومة العاملة بالقوانين الشرعية الإلهية تكون هى التى تراعى العدالة فى تطبيق القوانين أيضا والتى ترى نفسها تحت مراقبة وازع من مخافة الله ، لا

---

[١] موقف العقل والعلم جـ ٤ ص ٢٩٣

[٢] ، [٣] حاضر العالم ، جـ٣ ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩

[٤] موقف العقل والعلم ، ح٤ ص٢٩٥

[٥] يقول الأمير :" هى سنة الله فى أرضه، ومادامت الأمم لاتستغنى عن الأديان ؛ فملوكها وحكوماتها لاتستغنى عن الجمع بين الدين والسياسة " . ملحق ابن خلدون ص ٢٤

الحكومة التى لاتؤمن بالله ولا بقوانين، يقول (كلفين) : " إن الملك الذى لاينشد مجد الله فليس بالذى يقيم مملكة وإنما هو يقيم لصوصيه . وعلى الحاكم أن يقبل مراقبة رعاة الدين ويوطد بالاتفاق معهم نظام الدوله لا النظام المدنى فقط بل النظام الدينى أيضا والنظام الأدبى والاجتماعى وعليه أن يعقب اللصوص والفساق....ألخ " [١] .

ومن الملاحظ هنا أن الأمير يكثر من الأستشهاد بكلام علماء وساسة الغرب، وذلك لأنه يخاطب النشء الجديد الذى أغرته دعاوى المتفرنجين حتى أن بعض النشء الجديد لايعتقدون بشيء ولا يحتفلون بأمر مالم ترو لهم فيه كلاما عن فيلسوف أوربي عظيم..." [٢] لذلك فالأمير يقيم الأدلة " من أقوال العلماء الأوربيين الذين ليسوا بمسلمين ليقال فيهم أنهم قالوا ماقالوه متأثرين بعقيدتهم التى نشأوا عليها وإنما هم من العلماء المنصفين الذين نشدوا الحق " [٣] . وهذه الطريقة سمة من سمات عصر أزمة الخلافة الذى أصبح الإعجاب فيه بكل وافد من الغرب وهماً مسلطاً على الناس ، حتى احتاج الداعون بدعوة الإسلام إلى أن يضربوا للناس الأمثال بزعماء الغرب وفلاسفته ممن يحترمون دينهم .

---

[١] حاضر العالم ، ح٣ ص٢٦٤

[٢] المرجع السابق ، جـ ١ ص ٤٢

[٣] المرجع السابق ، جـ ١ ص ٣٧

obeikandl.com

دفاع الأمير شكيب أرسلان عن الشريعة الإسلامية

- رمى الشرع الإسلامى بالجمود لتعلقه بالمعاد و المعاش

وهذه شبهة جلاها الأمير شكيب أرسلان فيما جلا من شبهات علقت أوهامها بعقول كثير من الناس وهى من جملة الدعايات التى يبثها أعداء الإسلام ورواد الأستعمار الغربى لصرف ناشئة المسلمين عن الشرع المحمدى بل تكره إليهم هذا الشرع وتحبب إليهم المروق منه . ونحن نعرض آراء الأمير شكيب فى مناقشتها لارتباط هذه الآراء بمذهبه فى الخلافة من حيث إيمانه بأنها جمعت بين السلطتين المادية والروحية دون أن يكون فى الجمع بينهما أى عائق لتقدم الأمة وعزتها . يقول الأمير " قرأنا وقرأ غيرنا ومازلنا نقرأ عن الخرافة التى معناها أن سبب تقهقر المسلمين هو الشريعة الإسلامية بسبب كونها أحاطت بأمور المعاد والمعاش معاً وجاءت بأحكام سرمديه لاتتغير ولاتتبدل وقضت بتطبيقها فى كل زمان ومكان بدون نظر إلى أختلاف الأزمنة والأمكنة إلى غير ذلك من الأقاويل التى منهم من يلقفها من دون رؤية ولا انعام نظر ومنهم من يعلم سرا لمسألة لكنه يتجاهل ذلك عمدا كراهية منه للإسلام وعملا لهدمه ، ومنهم من يرويه كحكاية حال ويظن أن لهذا الأمر بعض التأثير فى الحالة التى آل إليها المسلمون [١] .

---

[١] تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامى جـ ٣ ص ٣٤٣

الإستشراق والشريعة

«إن أهم أسباب الجفاء بين الغربيين والشرقيين هو كون الإسلام جاء لهداية البشر كافة ، بحيث أتى على الوثنية في البلاد التي انتشر سلطانه فيها ، ودخل فيه من الصابئة واليعاقبة والنساطرة والمجوس واليهود وغيرهم جمهور كبير ، فخافت أوروبا النصرانية من سيطرته على ربوعها واتفق ملوكها وساستها ورهبانها على حرب الإسلام وبدأت الحروب الصليبية التي دامت أكثر من قرنين ويدهي بعد هذه الأحقاد والحروب والمكايد التي طالت لياليها السود وخاصة بعد أن هددت الدولة العثمانية أرجاء أوروبا زمناً طويلاً حتى دب الهرم فيها ، إلى أن يقول الخصم ما قد يحط من قدر خصمه ويصغر من أمره ، ويشكك في تراثه» [١] ، هذا هو ما فعله الغرب مع العرب محققاً خطته من خلال الإستشراق وغيره .

وهكذا بدأ التشكيك في مسيرته محاولا أن يجتاح كل ما هو إسلامي فبدأ (رينان) يشكك في الإسلام مدعياً أنه عدو العلم والحضارة العقل ، وأخذ (كرومر) يشك أيضا في الإسلام معلناً بأنه دين مناف للمدنية تماماً وأنه لا يصلح للأعصر الحديثة مطلقاً فدعا المصريين إلى التحرر من القرآن والشريعة والدين واللغة والأدب ، وذهب (ليوتي) يثير الخصومة بين العرب والبربر ويشكك في القرآن واللغة والأحكام ، وينشئ محاكم البربر العرفية محل محاكم الشريعة الإسلامية ، واتجه (لا فيجري) يقيم المدارس التبشيرية ويحارب العربية ويدعو المغرب العربي إلى التمسك بحياته التي كان عليها قبل إسلامه ، وجاء (هانوتو) فانقض على الحضارة العربية الإسلامية ، وادعى أن الإسلام دين بشري يقود الإنسان إلى التسكع والكسل والتواكل ، وذهب في تشكيكه إلى أبعد ما يمكن أن يتصوره العقل البشري فدعا أوروبا إلى القضاء على القرآن وأتباعه ، وظهر (زويمر) فهاجم الفكر العربي الإسلامي بكل ما أوتى له من وسيلة .. ، وأخذ (مرجوليوس) يخطط للتشكيك في النبوة المحمدية والتراث والثقافة الإسلامية ،

---

١ - محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ٣/١ .

واتجه (لامانس) إلى التشكيك في التراث العربي بأسره وكرس حياته كلها من أجل أن ينال من قدر العرب واللغة والقرآن ، وتخصص في دراسة صدر الإسلام لغرض هدمه .. ، وقام (جولدزيهر) بجهد جبار من أجل التشكيك في التراث العربي ، واتجه إلى التشكيك في الرسالة الإسلامية والفقه والأحاديث النبوية علاوة على تشكيكه في قيم التراث الأخرى .[١]

ولم يقف المستشرقون عند حد ، «فهم حريصون على تجريد المسلمين والعقلية الإسلامية والفكر الإسلامي بصفة عامة من كل القيم الإنسانية والحضارية والابتكارات العلمية» [٢] ، فالتشكيك في التراث العربي الإسلامي لم يكن إلا هجوماً صارخاً على كل ما هو عربي إسلامي ظهر فيه الاتجاه العقائدي للاستشراق في أجلى صوره التي نشرها ، مؤثراً بذلك كله في الفكر العربي الحديث وعلمائه حتى اشترك كثير من (المستغربين) من العرب والمسلمين في الخوض في تاريخ الإسلام وتشريعه كذباً وافتراء عن سوء فهم أو سوء قصد ، وأداروا ظهورهم لمصادر الثقافة الإسلامية وهي القرآن الكريم والحديث النبوي والتاريخ الإسلامي وولوا وجوههم وأفئدتهم شطر المصادر الغربية لحضارة الإسلام يدرسونها ويصدقونها ويتأثرون بها ثم يزعمون زعمها ويفترون افتراءاتها .

وهكذا اختلف الشرقيون في موقفهم من المستشرقين ، فمنهم من يعتد بهم ، ويثق فيهم ، ويرى أن لابد من الانتفاع بآثارهم ، ومنهم من يحمل عليهم أشد حملة ، ويعنف من يتأثرون بهم أو يأخذون عنهم أشد تعنيف .

ويعد (الأمير شكيب أرسلان) من زعماء الإتجاه الثاني [٣] المناهض للفكر الغربي (الاستشراقي) فهو يقول : «وعلى كل الأحوال لا يقدر أحد أن يقول أن الشرقيين

---

١ - د. أحمد سمايلوفتش ، رسالة دكتوراه نوقشت بالأزهر في ١٩٧٤/٩/٩م ، بعنوان (فلسفة الإستشراق) ص٦٨٢-٦٨٣ .

٢ - د. محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص١٠٦ .

٣ - نجيب العقيقي ، المستشرقون ، جـ٣ ص٦٠٦ ، عز الدين الأمين (نشأة النقد الأدبي الحديث بمصر) ص١٠٣ .

ليسوا أدرى من الغربيين بآداب الشرقيين ولغات الشرقيين ، ولا يقدر أحد أن يدعى أن مرغليوس وغيره من المستشرقين يستطيعون أن يفهموا الكلام العربي أكثر من علماء العرب أهل اللسان الذي نشأوا فيه ، وأن من أحمق الحمق أن يظن أن مرغليوث لكونه افرنجياً صار يميز الشعر المصنوع على لسان الجاهلية من الشعر الجاهلي الأصلي ، وأنه صار يظهر له فيهما ما يخفي على مثل سيبويه والخليل والفراء والأخفش والمبرد وابن دريد وأبي على الفارسي وابن جني والزمخشري وأقرانهم» (١)

ويقول الأمير شكيب : «إننا عرفنا كثيراً من هؤلاء المستشرقين بالذات وحادثناهم ونفضنا ما عندهم من علوم واسعة وآراء صائبة ونظرات دقيقة ولمحات عامة وطرق في البحث جليلة ، وأن منهم مؤلفين عظاماً ومنقبين دهاة ، ولكننا لا نتردد في القول إننا لم نجد منهم واحداً - إذا رجعت المسألة إلى العربية - نقدر أن نعده عالماً وأن نقرنه إلى علماء هذه الأمة الحاضرين فضلاً عن الغابرين . وأتذكر أني لقيت أشهرهم وسمعت منهم الخطأ في العربي ولكننا نظراً لكونهم أجانب عن اللسان نرى قليلهم كثيراً ونغضى على ضعفهم بما يعجبنا من عنايتهم بلساننا وآدابنا» (٢)

ويعرض الأمير منهج الأوروبيين في الدراسات الشرقية فيقول : «إنهم يبالغون في القليل ويريدون أن يجدوا لكل حادثة أسباباً غريبة وعللاً لا تخطر على البال .. ولا يزالون يغربون في إيراد الأسباب ويتنوعون في التخرصات والتكهنات ما شاءت خيالاتهم وما طالت تصوراتهم .. فإذا عثروا على حكاية شاردة أو نكتة فاردة في زاوية كتاب قد يكون محرفاً سقطوا عليها تهافت الذباب على الحلواء وجعلوها معياراً ومقياساً ، بل صيروها محكاً يعرضون عليها سائر الحوادث ويغفلون أو يتغافلون عن الأحوال الخاصة والأسباب المستثناه واقتضاء الزمان والمكان» (٣)

«وترى الأفرنجي مع ذلك لاينظر إلى نزورة معلوماته في الموضوع الذي يطمع أن يحرره ولا إلى قلة بضاعته منه بل يهجم عليه هجوم من قتله علماً وبقره اطلاعاً ، وتراه

١ - شكيب أرسلان ، مقدمة النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي لمحمد أحمد الغمراوي ، ص هـ - و .

٣/٢ - شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص ز - يه .

لا يروى خبراً إلا جعل له توجيها زعم أنه الواقع » [١]

ويرد الأمير كل هذا التهور في تناول الدراسات الشرقية عند الغربيين إلى عداوة الغربي للشرقي «ويرجع كل هذا التهور إلى قلة الاطلاع من الأصل وهذا إذا لم يشب ذلك سوء قصد لأن الغربي لم يبرح عدواً للشرقي ورقيباً له » [٢]

ويرى شكيب أن أمثلة ذلك من كتابات المستشرقين أكثر من أن تحصى «فلا يكاد يوجد منها كتاب إلا وهو مشحون خلطاً وخبطاً ، مهما يكن من رفعة قدر مؤلفه ومن شهرته في العلم ، وأن الصحيح النادر منها هو الذي خلطه قليل بالقياس إلى غيره »[٣]

«حتى أن (رنان) نفسه وهو من أكبر فلاسفتهم ومن أعلمهم بعلوم الشرق وبلغات الشرق وبفلسفة الشرق ، وقد زار بنفسه الشرق وأقام بسورية مدة طويلة تجد له خلطاً عجيباً عن الشرق وأحكاماً خيالية ، وقد وجد من رد عليه وأثبت خلطه ونشر رده باللغة الافرنسية ، ولكن شهرة رنان العظيمة غطت على تلك الفضائح» [٤]

ويؤكد الأمير شكيب أن من الغربيين من لم يتعلم العربية إلا على أمل أن يتتبع العورات ويحفظ المثالب ويتخذ من أعمالنا حجة علينا مثل الأب (لامنس) اليسوعي ، ومثله الدكتور (هارتمان) الألماني ، وقد عرفهما الأمير شكيب ورأى أن مثل هؤلاء لا ينبغي أن يسمع كلامهم في تاريخ العرب والعربية فضلاً عن أن يؤخذ به حجة .[٥]

ويحدد الأمير أسباب أزمة المسلمين فيرى أنها ناتجة عن المرض الذي أصابهم : مرض تلقي أقوال الأوربيين قضايا مسلمة حتى فيما يهرفون فيه بدون معرفة ، ومن هنا نشأ التخبط الذي نتخبطه لأن حقائقنا انقلبت ضلالات بلا سؤال، وضلالات الأفرنج

١/٢/٣ - شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص ز - يه .

٤ - شكيب أرسلان ، المرجع السابق .

٥ - شكيب أرسلان ، المرجع السابق .

تلقيت حقائق بلا جدال .[١]

كما نبه شكيب أرسلان العلماء والمفكرين من أهل الإسلام لمقاومة دسائس الجمعيات التبشيرية المنبثة في جميع الأقطار الإسلامية تحت أشكال متنوعة ، وكتب يفند مزاعم المستشرق (زويمر) الذي كان من رأيه في طريقة التبشير عدم مجادلة المسلمين بالبراهين العقلية - حيث يعلم أن قلعتهم ثمة منيعة - بل الدخول عليهم من الجهة القلبية باستجلاب عواطفهم فقال : «ونحن نجاوب المستر (زويمر) وأمثاله ممن فيهم من هو مقتنع بعمله مبتغ وجه الله في جهده ، إنه إذا كان المقصود دعوة الإسلام إلى الإنجيل فالمسلمون يؤمنون بالإنجيل الشريف وبرسالة المسيح صلوات الله عليه وسلامه ، وإن كانت الدعوة إلى الإنجيل في الظاهر والسيطرة الأوروبية في الباطن فهذا حلم من أحلام المبشرين ، إذ لابد للاسلام أن يستعصي على هذه الدعوة ويقف في وجهها سداً منيعاً ، وإن كان مقصد هؤلاء المبشرين هو خلاص النفوس والاشفاق من هويها في النار الحاطمة ، والعياذ بالله .

فالأولى بهم أن يذهبوا إلى الوثنيين الذين هم أكثر من المسلمين عدداً في الدنيا ، وأحوج إلى الإرشاد ، بل أن يهدوا الملايين العديدة من أنفس المسيحيين الذين نبذوا الدين ظهرياً ودانوا بالتعطيل والإلحاد وأخذوا يحاربون الكنيسة» [٢]

ويختم شكيب رده على المستشرق (زويمر) المشهور بعداوته للإسلام ، بقوله : «فعلى الإنسان أن يدبر بيته قبل أن يمد يده لتدبير بيت جاره ، أما المسلمون فلا حاجة إلى تبشيرهم لأنهم يعبدون الإله الحق ولا يشركون به أحداً ، ولأن شريعتهم ملأى بالفضائل والآداب ومكارم الأخلاق وإقامة ميزان (العدل) حتى مع العدو ، وتحث على العلم والإنسانية والحضارة وإغاثة الملهوف وحب القريب ، وعند اللزوم تذرف الدموع أيضا على البائسين» [٣]

---

١ - شكيب أرسلان ، المرجع السابق .

٣/٢ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، جـ١ ص٢٨٢ .

ولما كانت الشريعة الإسلامية هي الغاية الكبرى من الإسلام فقد كان لابد للاستشراق من توجيه الشبهات إليها ، ومحاولة البحث عن تناقضات يستطيع من خلالها أن يصل إلى هواه ، وهو محاربة الشريعة الإسلامية التي تزرع في قلوب المسلمين روح الإستقلال » [١]

« وقد وضح حقد المستشرقين على الشريعة الإسلامية فيما كتبه كوفن ورينان وجولد زيهر ومرجليوش ولامنس ، وقد حاولوا إيهام المسلمين بأن الشريعة الإسلامية سبب تأخرهم وأنها عائق في سبيل تقدمهم ونهوضهم ، وأثاروا الشبهات حول نصوصها وعرضوا لما أسموه (تطور الشريعة) بتطور العصر وغير ذلك من المحاولات الباطلة التي عرفت عن الشرائع الوضعية التي تحتاج في كل عصر إلى تغيير مع روح العصر بينما الشريعة الإسلامية شريعة ربانية منزلة قد وضعها الشارع الأكبر محققة لقيام مجتمع الأمن والسكينة ، وجعلها ذات أطر واسعة وافية وقادرة على تقبل تغيرات العصور والبيئات ، وهي من أجل ذلك لا تحتاج إلى تطور لأن أسسها الثابتة راسخة البنيان ثم هي راسخة قادرة بعد ذلك على تقبل المتغيرات »[٢]

وقد مر بنا كيف تصدى شكيب أرسلان لشبهة الفصل بين الدين والدولة ، وهي من الدعاوي التي أثارها الاستشراق لمحاولة تصوير الإسلام على هيئة المسيحية الغربية دين عبادي لا صلة له بنظم المجتمع ، ولقد كانت محاولة فصل الدين عن الدولة هي إحدى محاولات النفوذ الغربي الذي فرض على المجتمعات الإسلامية استعمال القانون الوضعي .

ويرى شكيب أن أوروبا تعرف أنه مادام الشرع المحمدي هو مدار العمل عند المسلمين كان هؤلاء يرون خضوعهم للأجانب ذنباً لا يغفره الله لهم إلا بالإستقلال التام وعاراً لا يدحضه إلا طرد الأجنبي المتغلب من المستعمرات التي غلب عليها ، وأية

---

١ - شكيب أرسلان ، المرجع السابق جـ٣ ص٣٣٩ .

٢ - أنور الجندي ، محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل ، مج٥ ص١٩٠ .

مصيبة على أوروبة أعظم من هذه .[١]

لذلك حاول الإستشراق رمي الشرع الإسلامي بالجمود لجمعه بين السلطتين المادية والدينية ، وبعدم قدرته على مسايرة العصر ، وكانت من أخطر مجادلاتهم الإدعاء بأن الشريعة الإسلامية مأخوذة من القانون الروماني .

ولقد تصدى الأمير شكيب أرسلان لكل هذه التخرصات وبين بطلانها وكذب ما ذهب إليه المستشرقون ومن تأثر بهم وأيدهم من المتفرنجين .

---

١ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (مرجع سابق) جـ٣ ص. ٣٥ .

obeikandl.com

حزب المتفرنجين

ويقصد بهم أولئك (المسلمين الجغرافيين) الذين وافقوا الأوربيين على مزاعمهم ــ وفى طليعتهم الأتراك الأنقريون شيعة مصطفى كمال ومقلدوهم من أهل مصر ـ " فذهبوا إلى أن تأخر الممالك الإسلاميه وتأخر تركيا إنما جاء عن إختلاط أمور الدين بالدنيا وعن عمل المسلمين بشرع سماوى أرادوا أن ينفذوه مفردا وأن يجعلوه سرمدا وأن يردوا إليه كل شئ ولهذا كان لامندوح للأمم الإسلاميه بزعمهم إذا أرادت الرقى فى معارج الفلاح من أن تنبذ هذه الشريعة القديمة البالية التى أصبحت لاتصلح لعصر كعصرنا هذا ولا مفر لها من الأخذ بشرائع وقوانين إنما صلحت لهذا العصر لكونها وضعت بهذا العصر " [١] . ثم يسخر الأمير شكيب من كلمة هؤلاء المتفرنجين :" نحن لانريد شرعا فيه قال وقالوا ولكن شرعا فيه قلنا ونقول " [٢] . ويبين فساد هذا القول وبعده عن حقائق الأمور لأنه " ليس فى الدنيا شرع ولاقانون يخلوا من " قال " و " قالوا " ولا يستقى في منابعه الى قواعد وأوضاع وأقوال سبقت منذ مئين من وربما من ألاف من السنين " [٣] . ويقرر الأمير أن الهدف الحقيقى الذى سعى إله هؤلاء المنتسبون الى الإسلام لم يكن فى مساوقة العصر الحالى كما زعموا بل" ما أرادوا الا " التفرنج" لاغير" [٤] . ويقارن الأمير شكيب بين حال تركيا الإسلاميه عندما كانت تعمل بمجلة الأحكام العدلية فى المعاملات المدنيه [٥] ، وحال الأتراك

عندما أخذوا بقانون سويسرا المدنى وقانون الجزاء الإيطالى البعيد عن عقليتهم وذوقهم ومنازعهم ومشاربهم ولم يستفيدوا من هذه القوانين شيئاً إلا التحيز فى القضاء والصعوبة فى التطبيق حتى أضطروا فيما بعد لتعديلات كثيرة فى هذه القوانين؛ مما يثبت أن الذى قصده مصطفى كمال ورهطه لم يكن سوى مجرد التفرنج وأن تفهم أوربا انهم هم نبذوا التقاليد الإسلاميه ورموا بالشريعة القرآنيه عرض الحائط وأقاموا مقامها قوانين أوربية .

---

[١] ، [٢] ، [٣] ، [٤] ، [٥] تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامى ، جـ ٣ ص ٣٤٣ وما بعدها

[٥] أواخر القرن الهجرى الثالث عشر جمعت الحكومة العثمانيه طائفة من كبار علمائها (هكذا بالأصل والصحيح الثالث عشر) وكلفتهم وضع قانون فى المعاملات المدنيه تكون مأجذه الفقه الإسلامى ولو من غير المذاهب المعروفة حتى كان الحكم المأخوذ يتمشى وروح العصر. وقد اجتمع هؤلاء العلماء وسنوا القانون الذى سمى (مجلة الأحكام العدليه) فى سنة ١٢٨٦هـ وصدر الأمر بالعمل به فى سنة ١٢٩٢هـ ـ عن (خلاصة تاريخ التشريع الإسلامى) عبد الوهاب خلاف ـ ص١٠٣

وليس أدل على هذا من أن القانون المدنى السويسرى الذى أتخذته تركيا لنفسها يتضمن أصولاً وقواعد ترجع إلى التشريع الرومانى القديم فهى أقدم عهدا من الفقه الإسلامى الذى يزعم مصطفى كمال أنه ألغاه بسبب توغله فى القدم . "وأما قانون العقوبات الإيطالى الذى أتخذته تركيا لنفسها أيضا فهو قانون رومانى مسيحى وإيطالى كاثوليكى وفيه من الأوضاع اللاتينيه القديمة والأعراف المسيحية الموروثة مالا ينكره إلا المكابر" [١] . وهكذا يخلص الأمير شكيب إلى الحقيقة التى ينبغى أن تراعى عند أختيار القوانين وهى ألا تكون موافقة للزمان فقط بل للمكان أيضا .

علاقة الدين بالسياسة فى حضارة الغرب

"ليس فى أوروبا قانون غير متأثر بالتعليم المسيحى والتشريع الرومانى وعليه يكون من الخطأ البين الأعتقاد بأن القوانين الأوربيه هى كلها من باب التشريع الإنسانى الصرف وأنه لامدخل فيها للمبادئ الدينيه ويكون تحكماً القول بأن الشريعة الإسلامية وحدها هى التى جمعت بين أحكام الدنيا والأخرة [٢] . وهذه حقيقة يقررها الأمير وهى أن جميع الشرائع الإنسانيه راجعة إلى أصول دينيه وليس الشرع الإسلامى وحده بدعاً فى ذلك أما الإضافات والزيادات التى وضعها البشر فى اجتهادات معلقة على الأصول الدينيه، ويستوى فى هذه الحقيقة أتباع الأديان السماويه وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى كديانة سيوا التى هى عقيدة أهل الهند وديانة بوذا التى هى عقيدة أهل الصين ؛ يقول الأمير "ومن طالع الشرائع الإنسانيه عرف أنها بأجمعها سماويه بشريه أى أنها راجعة إلى أصول دينية و اجتهادات بشرية معلقة عليها " [٣] وهذة الأصول الدينية هىالتى تكسب الشرائع قدسيتها واحترامها من من قبل الناس ؛ وهو ما أشار إليه ابن خلدون نقلاً عن أحد الفلاسفة بأنه لابد للبشرمن الحكم

---

[١] ، [٢] ، [٣] تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامى ، جـ ٣ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦

الحكم الوازع ؛ وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ياتى بة واحد من البشر ؛ و أنة لا بد أن يكون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له و القبول منه ؛ حتى يتم الحكم فيهم و عليهم من غير انكار و لا تزييف .." [١] .

ومن الشبهات التى يردها الأمير أن الإنجيل لم يتعرض لأمور الدنيا فيثبت أنها دعوة غير صحيحة فالأنجيل " ليس كتاب تشريع وإنما هو كتاب مواعظ وآداب أراد بها السيد المسيح صلوات الله عليه تهذيب النفوس وتطهير الأخلاق وإعادة الخلق الى روح الشريعة الموسويه فلم يرد الأتيان بشرع جديد لكنه نبه على وجوب أتباع الشرع القديم فالعهد الجديد إكمال للعهد القديم لانقض له كما صرح بذلك المسيح نفسه، فيكون الأنجيل أيضا لم يخرج عن الشرع السماوى" [٢] .

وهكذا يخرج الأمير بحقيقة مؤكدة أن " الشرائع كلها راجعة إلى أصل سماوى ولكن قد فرع الناس منها بقدر الاستطاعة وبحسب إحتياجهم وبعد التجاريب المتعددة ومع مراعاة الأزمنة والأمكنة وأخذ بعض الناس فى هذا عن بعض فكل قبيل قلد قبيلا فيما هو موافق لحاله ونبذ ما هو غير موافق لحاله وجميع المشترعين إنما يقصدون الرفق بالعباد وحياطة الحق ما أمكن ويرمون الى غرض واحد هو مصلحة الأمة " [٣] .

---

[١] (٣) مقدمة ابن خلدون، مج ١ ص٧٢

[٢] كما ذكر ابن خلدون جـ ١ ص ٣٤٥ ، وللبقلانى رأى أخر ذكره فى كتاب (التمهيد) يرى فيه أن الخلافة لاتصح إلا فى قريش ـ نظام الخلافة ، د. مصطفى حلمى ص٤٧٠

[٣] رواه أحمد ٢٧٣/٤ وذكره ناصر الدين الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ١ ص ٨.

دفاع الأمير شكيب عن استقلال الشرع الإسلامي وأصالة منبعه

عمل بعض المستشرقين على التشكيك بقيمة التشريع الإسلامي ، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور ، لقد سقط في أيديهم حين إطلاعهم على عظمته وهم لايؤمنون بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فزعموا أن فقهاء الإسلام بلغوا من الإحاطة بالنوازل البشرية وتبين وجوه أحكامها ما بلغوه بما أخذوه عن الفقه الروماني ، وقد بين الأمير شكيب أرسلان تهافت هذه الدعوى ، وقال : إن كل من زعم أن الفقه الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني لايكون أطلع على شيء من تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ولا التابعين . (١)

ومن بين الغربيين الذين أكدوا هذا الزعم المسيو «غودفروادومومبين» صاحب «تاريخ العالم» الذي يقول في موضوع ثورة العجم على العرب بعد استقرار الإسلام وإلقائه بجرانه على بلاد الأعاجم : «إن العرب كانوا يرون أنفسهم أعلى درجة من الأمم التي دانت بدينهم ، ولذلك نجد الإسلام نفسه ميز المسلم في القصاص على الذمي ، كما كان الشأن في رومة بالنسبة للبرابرة ، وأما في القضايا المدنية ، فقد كانت أمور أهل الذمة عائدة للقضاة الذين يوليهم الخلفاء ، وهكذا دخلت أمور أهل الذمة في المحاكم الإسلامية ومن هنا كان تأثير القانون الروماني في التشريع الإسلامي دخل شيئاً فشيئاً» (٢)

ويعلق الأمير شكيب أرسلان على هذا النص بقوله : «إن هذه المسألة مما وهم فيه «دومومبين» كغيره من مؤلفي الأفرنج الذين لم يقدروا أن يتتبعوا سير التشريع الإسلامي وكيفية استنباط الفقهاء للأحكام من الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس ، فظنوا خطأ أن مأخذ التشريع الإسلامي من القانون الروماني» (٣)

---

١ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، جـ٣ ص٣٤٦-٣٤٨ .

٢ - المرجع السابق جـ١ ص١٧١ .

٣ - المرجع السابق نفسه .

ويستشهد الأمير شكيب في إبطال هذا الإدعاء بشهادة أخصائي (مسيحي) هو (صاوا باشا) الرومي من علماء الحقوق في أيام الدولة العثمانية ، والذي ألف كتابا بالافرنسية سماه : «نظرية الحقوق في الإسلام» [١] تناول فيه بالبحث مسألة أخذ التشريع الإسلامي من القانون الروماني ، وينقل «شكيب» عن المؤلف - أعني صاوا باشا - «أنه كان يعتقد هذا الإعتقاد نظير غيره ، ويبنى ذلك على ما يعرف من كون بني أمية لبثوا في الشام مدة طويلة يعملون بالأحكام التي كانت باقية من أيام الرومانيين ، فلا عجب في أن يكون هووغيره قد توهموا أخذ قسم المعاملات في الشريعة الإسلامية من القانون الروماني الذي كان به العمل في سورية ، إلا أنه أحب أن يدرس هذا الموضوع درساً دقيقاً ، ويتعرف كيفية نشوء التشريع في الإسلام فاستنجد بعض علماء أصول الفقه من الأتراك وقرأ الفقه الحنفي جيداً وذكر الكتب التي راجعها أو طالعها ، وتجرد لمعرفة الأمر مدة طويلة ، فوجد هذا الذي معناه أن التشريع الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني رأيا ضعيفا أشبه بأن يكون خيالاً من أن يكون حقيقة» [٢]

ويعرض (صاوا باشا) في كتابه المقدمات التي بنى عليها العلماء الأوربيون اعتقادهم بأن تشريع فقهاء الإسلام الذين بدأوا التشريع في أيام الخلفاء العباسيين الأوائل إنما هو مجموعة أحكام تضاهي ما كان جارياً به العمل في سورية قبل الفتح الإسلامي ، ويرى أن الأسباب التي حملت على هذا الظن معقولة إلا أن الحقيقة هي غير ما فكروا به في أوروبا .

ويكفي أن ينظر الإنسان إلى هذه المسألة نظر المدقق ويتابع سير الشريعة الإسلامية في تقدمها وفي أطوارها حتى يعلم (استقلال الشرع الإسلامي وأصالة منبعه) وأن هذا ليس من ذاك .[٣]

«ولاشك أن لكل تشريع منبعاً مختلفاً عن الآخر ، ففقه (يوستينيانوس) [٤] هو

٣/٢/١ - حاضر العالم الإسلامي (مرجع سابق) جـ١ ص١٧١-١٧٣ .

٤ - نسبة إلى الإمبراطور الروماني (يوستنيانوس) .

عمل مبني على العقل السليم البشري ، وقد اصطبغ بالصبغة المسيحية ، وأما فقه الإمام الأعظم فهو مبني على كتاب الله (القرآن) وسنة الرسول ، ولن ترى في الفقه الإسلامي حكماً واحداً غير مدعم على هذا أو هذه . فاختلاف المنبعين لاريب فيه يظهر لكل من درس تاريخ فقه يوستينيانوس وفقه أبي حنيفة » [١]

ولم يكتف هذا المؤلف المدقق - أعني صاوا باشا الرومي - بهذا بل دخل الموضوع كما قال الأمير شكيب أرسلان : «وأورد خلاصة اجتهاد الإمام أبي حنيفة وأصحابه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وزفر ثم من بعدهم من الأئمة ولخص تاريخ التشريع الإسلامي ، وبين مآخذه كلها ، وأثبت فلسفة الفقه الإسلامي المعبر عنه بعلم الأصول وقال إني أدعو من يهمه هذا الموضوع أن لا يحكم فيه قبل أن يطالع هذا التاريخ المتسلسل للفقه الإسلامي مطالعة كافية » [٢]

ويعلق الأمير شكيب أرسلان على كتاب (نظرية الحقوق في الإسلام) هذا فيقول : «وكتاب (صاوا باشا) هو أحسن كتاب قرأته بلغة أوروبية في هذا الموضوع ، والفرق بينه وبين غيره من المؤلفين أنه يبني حكمه على أدلة وبراهين ووثائق ونصوص وحقائق تاريخية وأن أولئك يبنون على ظنون وتخرصات ، وعلى نظر من جهة واحدة ، وعلى قولهم : لابد أن يكون كذا ، وهناك أسباب تدعو إلى الظن بأنه كذا وكذا ، ومن يدري فقد يكون كذا وكذا ، وهذه أشياء لا تصح أن تكون مداراً للأحكام ، ولا يقال لها (تمحيص) وإنما يقال لها (تخمين) ، وما أصدق الآية الكريمة : «إن الظن لا يغني من الحق شيئا »[٣] »[٤]

---

١ - المرجع السابق ص١٧٣ .

٢ - المرجع السابق نفسه ، ويقول الشيخ مصطفى صبري في تعليقه على شهادة (صاوا باشا) هذه : «ولعل احتفاظ صاوا باشا الرومي بدينه وقع احتفاظا من الله بقيمة شهادته الغالية للتشريع الإسلامي ، وهو مع هذا أقرب إلى الإسلام بكثير من المسلمين الذين قلدوا الأوربيين في إثارة الشبهة ضد هذا التشريع باحتمال كونه مأخوذاً من القانون الروماني ، والله لا يضيع أجر المحسنين» (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ، جـ٤ ص٢٩٩ (هامش)) .

٣ - سورة يونس ، آية ٣٦ .

٤ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (مرجع سابق) جـ١ ص١٧٣ .

وهكذا يرى الأمير شكيب أرسلان في شهادة هذا الباحث المسيحي المدقق (صاوا باشا) شهادة قيمة وعبرة عظيمة لأولي الأبصار ، وضربة قاضية على المرجفين في هذه المسألة ممن لا خبرة لهم بعلمي الفقه وأصول الفقه الإسلاميين ، ومن العجب أن الذين كتبوا فيها من المسلمين تقليداً للأوربيين ما قرأوا الفقه ولا أصول الفقه بقدر ما قرأ صاوا باشا المسيحي العثماني [١] ، ولعل فيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد في لاهاي من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته ، وليس مستمداً من أي فقه آخر [٢] وفي اعتراف المؤتمر الدولي للقانون المقارن بنفاسة الشرع الإسلامي وغزارة ثروة مذاهبه القانونية ، وتلبيتها حاجات العصر ، وتوصية المؤتمر بعقد حلقة للشرع الإسلامي في كل سنة ، وتأليف لجنة لوضع معجم له ييسر تصنيف دائرة معارف فيه (باريس ، يوليو ١٩٥١) [٣]، ما يفحم المتعنتين منهم ، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا .

ويرى (شكيب أرسلان) أن الشرع الإسلامي هو شرع سماوي باعتبار الأصل وتشريع إنساني باعتبار الإجتهاد والتفريع [٤] ، وأئمة الإسلام إنما فرعوا على أصلين هما القرآن والحديث ولكنهم أضافوا إليهما الإجماع والقياس فتوسعوا في الفقه ما ندر أن يكون تيسر لغيرهم [٥] ، ويحذر الأمير شكيب أرسلان من الخلط في هذه المسألة فما يسميه المسلمون (بالإجتهاد) - والذي بلغوا فيه ما لم تبلغه أمة قبلهم ولا بعدهم [٦] - لا يشكك في مدى نسبة التشريع الإسلامي إلى الإسلام الأصيل كدين مرجعه القرآن والسنة .

---

١ - الشيخ مصطفى صبري ، موقف العقل ، (مرجع سابق) جـ٤ ص٣٠٠ .

٢ - د. مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص٢٢ .

٣ - نجيب العقيقي ، المستشرقون ، جـ٣ ص٥٥٩ .

٤/٥/٦ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، جـ٣ ص٣٤٣-٣٤٨ .

ـ الإجتهاد لا ينفى الطابع الإسلامى للتشريع

يقول الامير :" لم يكن الدين الاسلامى وحده هو الذى يرجع إلى وحى سماوى بل جميع الشرائع قد بنيت على أصول دينية أو تأثرت بها ". وقد فرق الأمير هذه الأصول الدينية إلى قسمين عبادات ومعاملات " فقسم العبادات متعلق بالبارى تعالى الأزلى الأبدى الذى لايتغير فلم يكن من شأن عبادته أن تتغير ولا كان دين من الأديان ولا الدين المسيحى مما جرت العادة أن تتغير أصوله بحسب المكان والزمان " [١] .

"وأما قسم المعاملات فهو وإن كانت له أصول من القرآن والسنة فقد كان فيه مجال الاجتهاد واسعا وكانت مصلحة الأمة هى المحور الذى يدور عليه ذلك الاجتهاد. وأينما تكون المصلحة فثم دين الله " [٢] .

وهذا القسم الثانى يشمل نظام الإدارة والقضاء والسياسة والجباية وتدبير الحرب مما دخل للتعبد والزلفى إلى الله فى فروعه بعد حسن النية فيه ــ فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى زمنه مشترعا فيه باجتهاده مأموراً من الله بمشاورة الأمه فيه [٣] .

ثم يفصل الأمير القول فى مسألة الاجتهاد ، فيبين أن الاجتهاد لايكون مع وجود النص من الكتاب والسنة ، فإن لم يجد المسلمون النص من الكتاب والسنة ، عملوا بالقياس مع اشتراط بلوغ المجتهد مرتبة فى العلم يصح معها اعطاء الرأى " وهذا لايقدر أحد أن يقول فيه شيئا لأن الاجتهاد له شروط لايصح بدونها . وليس لكل إنسان أن يجتهد وأن يستنبط أحكاماً شرعية . وهذه رتبة عالية جداً لايرقاها إلا من أحاطوا بالكتاب والسنة ووصلوا إلى الأمد الأقصى من الرواية والدرايه ثم عرفوا من أحوال المجتمع البشرى ماتتجلى لهم به وجه المصالح ويظهر مكان سد الذريعة " [٤] .

وقد يزعم الطاعنون فى الشرع الإسلامى أن الشروط التى وضعها علماء الإسلام ليصح الاجتهاد شروط دقيقه ومبالغ فيهامما يقف فى وجه حرية الرأى والعمل به ونردالأمير

---

[١] ، [٢] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى جـ ٣ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩

[٣] الخلافة ، الشيخ محمد رشيد رضا ، ص ١٠٣

[٤] حاضر العالم الإسلامى جـ ٣ مج ٢ ص ٣٤٩

الأمير هذاالزعم فعلماء الإسلام لم يمنعوا العمل بالرأى لافى القديم ولا فى الحديث ؛ وغاية مافى الأمر أنهم اشترطوا فى الرأى بلوغ مرتبة من العلم يصح بها اعطاء الرأى " وأما الرأى فى نفسه لمن قدر عليه فلم يمنعه أحد وكل رأى اتفقت عليه الأمة اجازوه وقالوا إن الأمة لاتتفق إلا على صواب واستدلوا على جواز العمل برأى الأمة بقوله تعالى : "وأمرهم شورى بينهم " [١] .

صلاحية الشرع الإسلامى لكل زمان و مكان و واجب علماء المسلمين

يرى الأمير شكيب أن هجوم أعداء الإسلام على الشريعة الإسلامية ، واتهامهم إياها بالجمود وبأنها لاتلتوى مع الوقت وبأنها لاتسع جميع الحوادث وبأنها قد تخالف المصلحة وقد يضطر المسلمون إلى ترك المصلحة من أجلها وغير ذلك مما ترمى به الشريعة ظلماً وعدواناً [٢] ؛ إنما يعود كل هذا الهجوم لسببين أساسيين ؛ **أولهما** : الجهل بالشرع الإسلامى ومرونته التى تجعله مناسبا لجميع الأمكنة والأزمنة ، سواء أكان الجهل ناتجا عن عدم إدراك الطاعنين لجوهر الإسلام أو كان ناتجاً عن عدم رغبتهم فى الإدراك وتعنتهم . **والسبب الثانى** يرجع لتقصير علماء المسلمين فى بيان حقيقة الإسلام وجمودهم وعدم قدرتهم على الدفاع عنه بما تقتضيه حالة هذا العصر .

" فمن نظر إلى الكليات الفقهية مثل قولهم : العرف قاض والعادة محكمة ولا ينكر تبدل الأحكام بتبدل الأزمان والضرورات تبيح المحظورات ، وإذا ضاق الأمر اتسع ومارآه المسلمون حسناً فهو حسن وعلم أن المذاهب الأربعة الحنفى والشافعى والمالكى والحنبلى قد أجازت العمل بالمصلحة المرسلة أدرك من مرونة الشرع الاسلامى ومن سعة مذاهبه ومن تنزله على كل الحوادث ومن مناسبته لجميع الأمكنة والأزمنة مالايدركه الجاهل ولايريد أن يدركه المتعنت " [٣] .

---

[١] المرجع السابق جـ ٣ مج ٢ ص ٣٤٩

[٢] حاضر العالم الإسلامى جـ ٣ مج ٢ ص ٣٤٨

[٣] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى جـ ٣ مج ٢ ص ٣٤٨ ، ٣٥٠

ولاشك أن جمود بعض فقهاء الشرع الإسلامى وشدة تعصبهم لكل شيء قد سبق العمل به وشدة نفورهم من كل أمر يحدث ولو لم يكن فيه منافاة للشرع وعدم اجازتهم العمل إلا بما علموه ولو كانت المصلحة المتعينة تقتضى خلافه وتهافتهم على الجزم بحرمة مالم تثبت حرمته برغم مآورد من التشديد والتدمير على كل من يقول بالحلال والحرام بغير علم كل هذا قد اتخذه أعداء الإسلام حجة على الشريعة الاسلامية " [١] .

ثم يرد الأمير حجج الطاعنين فى الإسلام مؤكداً حقيقة **(إن الشريعة الإسلامية لايمكن أن تخالف المصلحة)** [٢] وذلك لأن الشريعة جاءت لمصالح العباد والله لايشرع لهم إلا ما ييسر أمورهم ولا يجعل عليهم فى الدين من حرج ، هذا إذا كانت المصلحة حقيقية لايمكن أن تخالف الشريعة وما يقال أنه مخالف منها للشريعة فغير معترف بكونه مصلحة ، " فإن تعيين المصلحة ليس بالأمر السهل وقد يظن بعضهم المصلحة فى شيء يظن غيرهم أنها فى خلافه لاختلاف الذوق وقد يجمع أكثر الأمم على اصطلاحات وعادات هى فى الواقع مخالفة للمصلحة مثل اجماعهم على الربا الذى مهما يكن من عمل العالم المتمدن به فليس هو من المصلحة الحقيقية فلا يجوز أن يقال إن تحريم الشرع اياه مخالف للمصلحة وأما المصلحة الحقيقية فلا يمكن أن يأتى الشرع بضدها " [٣] .

وبناء على القاعدة السابقة ينطلق الأمير فى رده على من قد يقول إن حرية الرأى فى الفقه الإسلامى مقيدة بالكتاب والسنة ، بمعنى أن الرأى لايصح إلا إذا كان ضمن دائرة الإسلام ولم يصادم الكتاب والسنة ، ويعجب الأمير ممن يقول مثل هذا لأن قائله يفترض أن القضاء لايكون موافقاً للمدنية العصرية إلا إذا كان غير مقيد بالكتاب والسنة و الأمير يرى أن هذا الإفلات ليس بضرورى أصلاً إذا كان الكتاب و السنة لايأمران إلابمافيه المصلحة ولايحملان الناس على مافيه ضررلهم [٤] .

---

[١] ، [٢] ، [٣] ، [٤] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى جـ ٣ مج ٢ ص ٣٤٨ ، ٣٥٠

تعقيب :

الدين الإسلامى هو الرسالة الخاتمة ، ولقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بتشريعات ربانيه واجب كل الوجوب التحاكم اليها كما بين الله تعالى فى القرآن الكريم المهمة التشريعية للكتب السماوية وعلاقتها ببعضها ووجوب الحكم بما فيها وعواقب الإعراض عنها وهيمنة القرآن عليها . قال تعالى فى سورة المائدة :

" إنا أنزلنا التوراه فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما أستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وأتيناه الأنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين،وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون ، وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فأستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنت فيه تختلفون ، وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون " [١] .

---

[١] الآيات من (٤٤-٥٠)من سورة المائدة

إشتراط القرشية فى الخلافة

اجتهد فقهاء السياسة الشرعية فى وضع مواصفات ينبغى أن يتصف بها الأمير بناءً على حقوقه وواجباته، ذكرها الماوردى فى الأحكام السلطانيه فقال : وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبره فيهم سبعه : أحدها **العدالة على شروطها الجامعة** والثانى **العلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل والأحكام** والثالث **سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها** والرابع **سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض** والخامس **الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح** والسادس **الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو** والسابع **النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه** [١] .

وعلى الرغم من وقوع الاجماع على اشتراط القرشية فى الخلافة ، وورود كثير من الأحاديث الصحيحة تشير إلى شرط النسب فى الإمام ، إلا أننا لا نعلم خلافاً على شرط من شروط الإمام وصفاته مما لم يرد فيه نص ، كالخلاف حول هذا الشرط الذى وردت نصوص كثيرة فيه [٢] .

والحق أن أسباب أختلاف الفقهاء حول هذا الشرط ترجع إلى أسباب كثيرة منها اختلافهم فى صحة الأحاديث بسبب تعدد الدلالات أو تفاوت مدارك الناظرين فيها، ومنها تعدد الروايات وتعارضها أحيانا وموقف العلماء من هذا التعارض بالتأويل والتوفيق أو القول بالنسخ أو بترجيح رواية على أخرى .

وقد أشار ابن خلدون إلى خلاف العلماء حول شرط النسب فقال : "ومن القائلين بنفى اشتراط القرشية القاضى أبو بكر الباقلانى لما أدرك عليه عصبية قريش فى التلاشى والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فأسقط شرط القرشية وإن كان موافقاً لرأى الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لعهده. وبقى الجمهور على القول باشتراط وصحة

---

[١] الأحكام السلطانية ص٦

[٢] محمود المرداوى ، الخلافة بين التنظير والتطبيق ص١٠١

الإمامة للقرشي ولو كان عاجزاً على القيام بأمور المسلمين ، ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التى يقوى بها على أمره. لأنه ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية وإذا وقع الإخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك أيضا الى العلم والدين وسقط أعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الإجماع " [١] .

والأمير شكيب أرسلان يرى أن روح الإسلام الحقيقى هى مراعاة الكفاية والأهلية دون أى أعتبار أخر ولهذا فإن الأمير لايذهب إلى ماذهب إليه الجمهور من اشتراط القرشية فى الخلافة لأنه يرى : "أن حصر الإمامة فى أسرة أو عائلة أو عشيرة لاينطبق على هدى الخلفاء الراشدين الذين كان يمكن كلا منهم أن يعهد بالأمر لولده، والحال أنهم لم يفعلوا ذلك " [٢] .

" فلا أبو بكر فكر فى العهد لمحمد بن ابى بكر ، ولا عمر فكر فى العهد لعبد الله بن عمر، ولولا خروج معاوية على **على** لكان **على** أيضاً اقتدى بهم فى إختيار من هو الأصلح لأمر الأمة " [٣] .

ويستشهد الأمير شكيب أرسلان على أن حصر الخلافة فى قريش ليس أمرا محتماً بقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "لو أدركنى أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به ، سالم مولى أبى حزيفة وابى عبيدة بن الجراح " ويعلق الأمير بان سالم كان من الأعاجم كما لايخفى ! " [٤] .

ولقد ذكر ابن خلدون أن قول عمر هذا لاتقوم به حجة لأن مذهب الصحابى ليس بحجة، وأيضا فمولى القوم منهم ، وعصبية الولاء حاصلة لسالم فى قريش، وهى الفائدة فى اشتراط النسب على ماذهب اليه ابن خلدون - ، ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى شروط كأنها مفقودة فى ظنه ، عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه، حتى من النسب المفيد للعصبية كما نذكر،ولم يبق إلا صراحة النسب فرآه غير محتاج إليه ، إذ الفائدة فى النسب إنما هى العصبية وهى حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصا من عمر رضى الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تلحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهده " [٥] .

---

[١] مقدمة ابن خلدون مج٢ ص٦٩٤ ط٢ لجنة البيان العربى

[٢] ، [٣] ، [٤] تعليقات الأمير على مقدمة ابن خلدون جـ١ ص ٢٦ ، ٢٧

[٥] تعليقات الامير على ابن خلدون جـ ١ ص ٢٧

وقد رد الأمير شكيب على هذا بأن عمر بن الخطاب وإن لم يكن معصوما فهو الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حقه" لو كان نبى بعدى لكان عمر " . فهو صحابى ولكن ليس كغيره من الصحابة ولقد منع عمر المتعة واحتج بعمله الفقهاء من أهل السنة. وعلى كل حال لم يكن عمر بالذى يخفى عليه حكم الشرع فى مسألة هى أجل المسائل [١] .

ومن أشهر الأدلة التى يتمسك بها المشترطون للنسب القرشي لمنصب الخليفة هو إجماع الصحابة على ذلك يوم السقيفة وأن قريش احتجت على الأنصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة و قالوا : " منا أمير ومنكم أمير " بقوله صلى الله عليه وسلم " الأئمة من قريش " ؛ و بأن النبى صلى الله عليه وسلم أوصانا بأن نحسن إلى محسنكم و نتجاوز عن مسيئكم ، ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا الأنصار ، ورجعوا عن قولهم منا أمير ومنكم أمير ، وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك [٢] .

ولكن الأمير شكيب أرسلان يرى فى هذة الرواية ايضاً ما يدعو إلى تأييد رأيه بعدم اشتراط القرشية لأن سعد بن عبادة ورهطه من الأنصار لم يكونوا بالذين يمارون قريشاً فى أمر الإمامة لو كانوا يعلمون أنها لا يجوز أن تتعدى قريشاً [٣] .

أما الحديث الشريف الذى يستند عليه من يقولون بحصر الخلافة فى قريش " الأئمة فى قريش " فيرى الأمير أن هذا جاء فى زمن كانت الرئاسة فية لقريش فكانت أولى بهذا الأمر من غيرها ، وكانت العرب فى قريش فى صدر الإسلام تطيعها ما لاتطيع سواها . ولا ينبغى من ذلك أن هذا الأمر يجب أن يكون أبداً سرمداً فى قريش مهما تقلبت الأحوال وتبدلت الأطوار ، وما دامت تطلع الشمس ، وما بل بحر صوفة " [٤] .

ولا يكتفى الأمير شكيب برد الأستشهاد بهذا الحديث على أنه لايحمل الأمر بالوجوب وغاية مافى الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان " يقيم " حال العرب ومكانة قريش فيهم فى الجاهلية والإسلام، بل يذهب الأمير الى اتهام الفقهاء المثبتين للنسب القرشى

---

[١] تاريخ العلامة ابن خلدون – دار الكتاب اللبنانى جـ ١ ص ٣٤٤-٣٤٥

[٢] ابن خلدون (المرجع السابق) جـ ١ ص ٣٤٣

[٣] تعليقات الأمير على أبن خلدون جـ ١ ص ٢٧

[٤] تعليقات الأمير على ابن خلدون جـ ١ ص٢٧

بناءً على هذا الحديث باجتزاء جزء من الحديث وإهمال جزء فيقول :
" وما بالهم لايذكرون أنه جاء فى رواية هذا الحديث:" الأئمة من قريش ما أقاموا الدين" وجاء هذا الحديث فى بعض المساند التى يعول عليها مثل صحيح مسلم . فإن كان حصر هذا الأمر فى قريش معلقا بهذا الشرط؛ فيكون قد أنحل الإشكال " [١] .

فالأمير شكيب أرسلان لاينازع فى كون قريش الأولى بالإمامة من غيرها من عرب وعجم وإنما ينازع فى حصر الخلافة فى قريش الإسلامية فى القرشي مع ضعفه وإقصاء غير القرشى عنها مع كفايته ورجحانه ، ولذلك فهو يرى فى اشتراط إقامة الدين والقدرة على ذلك حلا للإشكال ، فإن تحقق هذا الشرط فى القرشي فهو أولاً بمكانه من قرابة الرسول عليه السلام ، ومن رئاسته القديمة .

والحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر الإمامة لقريش فى حديثين شريفين ، وأمر بعدم معاداتهم ومنازعتهم ، وشرط عليهم شروطاً أحد هذين الحديثين رواه البخارى فى صحيحه قال: " حدثنا أبو ليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده وفد من قريش أن عبد الله بن عمر يحدث أنه سيكون ملك من قحطان فغضب فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : " أما بعد فإنه بلغني أن رجالا منكم يحدثون أحاديث ليست فى كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولئك جهالكم فإياكم والأمانى التى تضل أهلها فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان هذا الأمر فى قريش لايعاديهم أحداً الا كبه الله على وجه ما أقاموا الدين " [٢] .
والثانى : مارواه أحمد بن حمبل فى مسنده : " الأئمة فى قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا وأسترحموا فرحموا " [٣] .

والحديثان يشيران إلى أن هذا الأمر أى الأمامة والخلافة باقية فى قريش فإن نازعهم عليه منازع قهر وفشل وخذله الله ولكنْ ذالك بشروط هى فى حديث البخارى ما أقاموا الدين. وهى فى حديث أحمد ماحكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا وأسترحموا فرحموا .
وبهذه الشروط التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستمرار الخلافة فى قريش

---

[١] تعليقات الأمير على ابن خلدون جـ ١ ص٢٧
[٢] صحيح البخارى جـ ٩ كتاب الأحكام ص ٧٨
[٣] مسند أحمد ٢/٢٧٠ ، ٤/٤٢٤.

ينحل الإشكال ـ كما قال الأمير شكيب ـ فلئن كان الشرط فى حديث البخارى" إقامة الدين" شرط أستمرار الخلافة فيهم، فإن الشروط فى حديث أحمد أوصاف لحالهم عندما لايقيمون الدين فما يلازم عدم إقامة الدين فى الحكم أنتفاء العدل فى الحكم وعدم الوفاء بالوعد، والقسوة والبطش وعدم الرحمة للمسترحم .

وهذا يتلائم مع روح الإسلام التى حرث الأمير شكيب أن يبينها فقال إن "روح الإسلام المبنى على قاعدة **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** وعلى قاعدة **(وأن ليس للإنسان إلا ماسعى)** فليس فى الإسلام طبقات كما هى عند البراهمة ؛ الدين فى هذه الطبقة والحكم فى تلك الطبقة، والصناعة فى هاتيك الطبقة..الخ، وليس الإسلام فى شيء من مشابهة اليهوديه فى أن الملك فى السبط الفلانى، وأن الكهنوت هو فى السبط الفلانى ..الخ فكل هذه الأوضاع لايعرفها الإسلام، ولا يعرف إلا عمل الإنسان نفسه " [١] .

ويستشهد الأمير بقول عمر رضى الله عنه : " لو جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فلا ينظر رجل الى القرابة، وليعمل لما عند الله، فمن قصر به عمله لايسرع به نسبه " [٢] .

ويستنكر الأمير شكيب بعد قول **عمر** هذا أن تكون الشريعة التى يقول عمر فيها مثل هذا القول هى الشريعة التى تجعل الإمامة أرثا خاصاً بعشيرة خاصه الى أبد الدهر، مهما كان فى الخارج عنها من كفاية تزيد عن كفايتها، وقدرة **على** حفظ بيضة الإسلام ترجح على قدرتها [٣] .

فالإمامة فى قريش خاضعة لنواميس الكون التى جعلها الله فى مخلوقاته، فالله ينعم على المخلوق بنعمه حتى أذا فسد وطغى وظلم وعصى أخذه الله، وقد روى أحمد فى مسنده قول الرسول صلى الله عليه وسلم" أما بعد يامعشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله، فإذا عصيتموه بعث إليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب فى يده ثم لحى قضيبه فإذا هو أبيض يصلد" [٤] ، ولعل فى مدلول هذا الحديث أن الله سبحانه جعل الإمامة فى قريش لتأخذها بحقها وإلا عاقبها ببعث من يلحاها أو يزيلها كما يلحى أو يزال قشر القضيب، على أن هذه الأحاديث تدل فيما تدل عليه أن الخلافة ستستمر فى قريش ما اتصفت

---

[١] ، [٢] ، [٣] تعليقات الأمير على ابن خلدون جـ ١ ص ٢٨

[٤] مسند أحمد جـ ٦ روايه رقم ٤٣٨٠

بصفات واتسمت بسمات منها إقامة الدين، ومنها طاعة الله وعدم عصيانه ومنها العدل فى الحكم والوفاء والرحمة، فإن سقطت تلك الصفات من قريش نزع الملك منها وما عادت الخلافة فيها .

وهذا ما ذهب إليه الأمير شكيب فى قوله: "ولوأن الذين أشترطوا القرشيه فى الخلافة استدركوا الأمر بقولهم: أنه إذا تساوى القرشي وغير القرشي فى الإشتمال على شروط الخلافة فالقرشي بمكانه من قرابة الرسول عليه السلام ، ومن رئاسته القديمة؛ أولى من غير القرشى لهان الخطب ، ولكن مقتضى كلامهم أن القرشى بسلطان ذلك الحديث المتعلق بقريش فى عهد كانت فيه هى الأول ـ مهما بلغ من الضعف ومن عدم الكفاية ـ فإنه أولى من غير القرشى مهما بلغ من القوة على حفظ حوزة الإسلام، ومهما بلغ من الضلاعة والكفاية. فهذا الذى نراه مخالفا لروح الشرع، ولما يتجلى من جميع أحكام الكتاب والسنة " [١] .

ولئن كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم" الأئمة من قريش " قد يفهم منه الأمر وقد يفهم منه مجرد الإخبار فإن قرينه " ما" الظرفيه فى قوله صلى الله عليه وسلم:" ماأقاموا الدين " و" ماحكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا " ترجح المفهوم الثانى أى مجرد الإخبار والتنبؤ إذ تنتفى الإمامة من قريش بإنتفاء شرطها منها فكان ذلك الحديث لو صح على ماروه وارتفعت فيه كل شبهة مطابقاً لحالة قريش فى أيام تقدمها ، فأما من بعد أن غلبت الأعاجم ، وقام فيها من رجح ميزانه على قريش فى القوة والمنعة رجحانا محسوسا لايمترى فيه عاقل ، فقد أصبح من العبث أن نجعل المرجوح أولى من الراجح"[٢].

وهكذا يذهب الأمير شكيب الى سقوط شرط القرشية فى الخلافة بسقوط صفات الأهلية من قريش ووجوب جوازها فى غيرهم إذا وجد من المسلمين من هو أجدر منهم على إقامة الدين .

ويستند الأمير على قاعدة ابن خلدون فى العصبية لتأييد ما ذهب إليه، ويرى أن ابن خلدون قد جمع فأوعى فى هذه المسألة وجاء فيها بالقول الذى لايحسن معه المراء عندما قال فى مقدمته: " إذا ثبت أن إشتراك القرشي إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب ، وعلمنا أن الشارع لايخص الأحكام بجيل ولاعصر ولاأمة ؛ علمنا أن ذلك أنما هو

---

[١] تعليقات على ابن خلدون ، (المرجع السابق) جـ ١ ص ٢٨

[٢] المرجع السابق عن ابن خلدون جـ ١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧

من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فأشترطنا فى القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها فى عصرها ليستتبعوا من سواهم ، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولايعلم ذلك فى الأقطار والآفاق كما كان فى القرشية إذ الدعوة الإسلامية التى كانت لهم كانت عامة، وعصبية العرب كانت وافية، فغلبوا سائر الأمم، وإنما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة " [١] .

" وإذا نظرت سر الله فى الخلافة لم تعد هذا، لأنه سبحانه إنما جعل الخليفة نائبا عنه فى القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ، ويردهم عن مضارهم، وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالأمر إلا من له قدرة عليه . ثم إن الوجود شاهد بذلك ، فإنه لايقوم بأمر أمة أو جيل إلا من غلب عليهم، وقل أن يكون الأمر الشرعى مخالفا للأمر الوجودى " [٢] .

وبناءً على قاعدة ابن خلدون فى العصبية يطمئن الأمير شكيب إلى أنه وصل الى القول الفصل فى مسألة أشتراط النسب فى الخلافة بأن هذا الدين لم يقم بالأسرار غير المفهومة، ولم يمتحن أتباعه بما تعى به العقول ولا بما لاتظهر فيه وجوه المصالح، فكل معترك هذه المسألة من وجهة نظر الأمير " هى القدرة على حماية الإسلام وإقامة الشريعة على وجهها ، فمن كان أضلع بهذا الأمر من غيره بين المسلمين فهو الذى يريده الله ورسوله قياسا على ما لدينا من قواعد الشرع الأخرى التى هى ومبادئ العقل توأمان متلازمان " [٣] .

---

[١] ، [٢] المرجع الاسابق عن إبن خلدون جـ ١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧

[٣] تعليقات الأمير شكيب على إبن خلدون جـ١ ص ٢٩

تعقيب

ويجدر بنا أن نتساءل هل كان الأمير شكيب بموقفه من اشتراط النسب يهدف إلى تصحيح خلافة بنى عثمان انطلاقاً من نزعته العثمانية المعروفة عنه ؟ .

وما نراه حقاً أن العصر الذى عاش الأمير فيه هو الذى دفعه إلى الإجتهاد فى فهم الحديث أو بترجيح روايه على اخرى، فلقد شهد الأمير انقطاع ملك قريش بعد أن صار الأمر إلى سلاطين العثمانيين وأصبحت الدعوة إلى رد الأمر إلى قريش أو الخروج على العثمانيين تهدد الأمة فى وحدتها وتعين المستعمر الأجنبى على هدم دولة الإسلام وهى أحوال قريبة الشبه بالأحوال التى دفعت القاضى أبو بكر البقلانى إلى نفى اشتراط القرشى لما أدرك عليه عصبية قريش من التلاشى والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فأسقط شرط القرشيه وإن كان موافقا لرأى الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لعهده [١] .

والأمير لم يكن ليكتم شرط القرشيه أو يمارى فيه إذا ثبت عنده بما لايقبل الشك أن الأمر فيه كان الوجوب، بل مازال الأمير متشككاً فى الرواية متأولا للمعنى مستنداً إلى أراء علماء سابقين لهم مكانتهم وإحترامهم فى الفكر الإسلامى .

وأخيراً فإن الأمير لايقطع بأن أمر الخلافة لن يعود لقريش بل يرى أن القرشى أولى من غيره إن صارت قريش قادرة على إقامة الدين، ولابد أن يختم الله لهذه الأمة بالخلافة على منهاج النبوة كما فتح لها بالنبوة كما بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف " تكون النبوة فيكم ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة فتكون ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضاً فتكون ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة، ثم سكت " [٢] .

---

[١] كما ذكر ابن خلدون جـ ١ ص ٣٤٥ ، و للبقلانى رأى أخر ذكرة فى كتاب (التمهيد) يرى فية ان الخلافة لا تصح إلا فى قريش – نظام الخلافة ، د. مصطفى حلمى ص ٤٧٠.

[٢] رواة أحمد ٤/ ٢٧٣ وذكرة ناصر الدين الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ ص٨.

الباب الثاني

الآراء الكلامية عند الأمير شكيب أرسلان

الفصل الاول

٢- موقف الأمير شكيب أرسلان من عقيدة القضاء والقدر

يناقش الأمير عقيدة " القضاء والقدر" التى يرجع إليها " الجامدون " [١] أسباب تخلف المسلمين وتقدم الكافرين عليهم . فيرى أن تفسير القدر بالجبر تفسير فاسد حبب الكسل إلى كثير من المسلمين وجعلهم أعضاء مشلوله فى جسم المجتمع الإسلامى، وهو الخلق الذى جعل (الافرنج) يقولون أن الإسلام جبرى لايأمر بالعمل لأن ماهو كائن هو كائن، عمل المخلوق أم لم يعمل [٢] .

ويسوق الأمير طائفة من الآيات القرآنية التى تربط الثواب والعقاب والفوز والفشل بالعمل الذى يعمله المكلف ويرى فيها الدليل الواضح على إبطال تفسير القدر بالجبر.

والأمير شكيب يهدف من مناقشته لعقيدة القدر أن يحافظ على إظهار مسئولية المسلمين الخلقيه والاجتماعية والدينية والسياسية عن واقعهم ، وفى نفس الوقت ينفى عن الإسلام اتهام الغربيين له بالجمود والتفويض والتسليم فيبين أن التسليم لله إذا كان مقرونا بالعمل فإنه يكون أنفع فى الدنيا والأخرة، " والذى يريده الإسلام إنما هو أن يعقل الإنسان ويتوكل وان يدبر لنفسه بهداية عقله الذى جعله الله مرشدا، ويعلم مع ذلك أن ليس كل الأمر بيده، وأن من الأقدار مالاتدركه الأفكار وهذا صحيح " [٣] ويستشهد الأمير بأن النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر القدر سأله بعض أصحابه ألانتكل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له .

---

(١) الجامدون : هم العاجزون عن الإجتهاد فى المسائل الشرعية بما يتفق والحاجات المتجددة للمسلمين. عن (د. مصطفى حلمى - الخلافة ص٥٢٢)

(٢) لماذا تأخر المسلمون / شكيب أرسلان ص١٠٤

(٣) المرجع السابق ص١١٠

وشكيب فى موقفه من القدر متأثر باستاذه الإمام محمد عبده الذى كان يفرق بين مذاهب (الجبر) وبين معنى القدر، فكتب يدحض شبهة من سوى بينهما، ويبين ما كان للإيمان بالقضاء والقدر من التأثير العظيم فى رفعة المسلمين، ويقول الإمام : " اعتقد الافرنج انه لافرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبريين، القائلين بأن الإنسان مجبور محض فى جميع أفعاله وتوهموا أن المسلمين بعقيدة القضاء يرون أنفسهم كالريشة معلقة فى الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل. ومتى رسخ فى نفوس قوم أنه لاخيار لهم فى قول ولاعمل ولا حركة ولاسكون، وأنما جميع ذلك بقوة جابرة ، وقدرة قاصرة، فلا ريب تتعطل قواهم ، ويفقدون ثمرة ماوهبهم الله من المدارك والقوى، وتمحى من خواطرهم داعية السعى والكسب، وأجدر بهم بعد ذلك أن يتحولوا من عالم الوجود إلى عالم العدم" [١]

" وهكذا ظنت طائفة من الفرنجه، وذهب مذهبها كثيرون من ضعاف العقول فى المشرق ولست أخشى أن أقول : كذب الظان ، وأخطأ الواهم ، وبطل الزاعم وافتروا على الله والمسلمين كذبا - لايوجد مسلم فى هذا الوقت من سنى وشيعى وزيدى واسماعيلى ووهابى وخارجى يرى مذهب الجبر المحض، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة، بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزاء اختياريا فى أعمالهم ويسمى بالكسب، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم، وأنهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزاء الاختيارى ، ومطالبون بامتثال جميع الأوامر الإلهية، والنواهى الربانية، الداعية إلى كل خير، الهادية إلى كل فلاح، وأن هذا النوع من الاختيار وهو مورد التكلف الشرعى، وبه تتم الحكمة والعدل " [٢] . ويبين الإمام الأثر الطيب الذى يتركه الايمان بالقضاء فى نفوس المسلمين المؤمنين به من علو الهمة، وبث روح الشجاعة فى نفوسهم على نحو تصغر عندها العظائم، وتهون عليها مصارعة الشدائد فيقول الإمام :

" الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد من شناعة الجبر يتبعه صفة الجراءة والإقدام وخلق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك التى ترجف لها قلوب الأسود هذا الانطباع يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الأهوال، ويحليها بحلى الجود والسخاء ويدعوها الى الخروج من كل مايعزعليها، بل يحملها على بذل الأرواح والتخلى عن

---

[١] ، [٢] تاريخ الاستاذ الإمام ، ح ٢- ص ٢٦١ ، ٢٦٣

نظرة الحياة ، كل ذلك فى سبيل الحق الذى دعاها إلى الاعتقاد بهذه العقيدة " [١] .

"والذى يعتقد بأن الأجل محدود، والرزق مكفول، والأشياء بيد الله يصرفها كيف يشاء، كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه وإعلاء كلمة أمته، أو ملته، والقيام بما فرض الله عليه من ذلك، وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله فى تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الأوامر الإلهية، وأصول الاجتماعات البشرية " [٢] . ثم يقول الإمام : " بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق وانقضت شهبها على الحيارى فى هبوات الحروب من أهل المغرب، وهو الذى حملهم على بذل أموالهم وجميع مايملكون من رزق فى سبيل إعلاء كلمتهم لايخشون فقر ولايخافون فاقة " [٣] . والإمام يؤكد أن الله أمتدح المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضله فى قول الحق(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا، وقالوا : حسبنا الله.ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم) [٤] . وهذه الآية الكريمة تشير إلى موقف المسلمين فى غزوة أحد و هى نفس الغزوة التى استشهد الأمير شكيب ارسلان بما كان من المسلمين فيها ؛ و ما أصابهم نتيجة مخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم للرماة لتأكيد ما ذهب إليه بان الإسلام هو دين العمل لا دين الكسل ولا هو دين الاتكال على القدر المجهول للبشر : فقال الأمير مشيرا الى تفسير قول الله تعالى (أولمّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنّى هذا ؟ قل هو من عند انفسكم) [٥] . إن صاحب السؤال يعلم وأكثر المسلمين لا يعلمون أن هذه الآية خاطب الله تعالى بها أكمل هذه الأمة إيمانا وإسلاما وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ تعجبوا من ظهور المشركين عليهم في غزوة أحد فرد الله عليهم ببيان السبب وهو مخالفتهم أمره صلى الله عليه وسلم للرماة الذين يحمون ظهور المقاتلة بألا يبرحوا أماكنهم سواء كان الغلب للمسلمين او عليهم، فلما انهزم المشركون خالفوا الأمر لمشاركة المقاتلين في الغنيمة، فكر عليهم المشركون حتي شج رأس

---

[١] تاريخ الاستاذ الإمام ، ح ـ٢ ص ٢٦١ ، ٢٦٣

[٢] ، [٣] تاريخ الاستاذ الإمام ، ح ـ٢ ص ٢٦١ ، ٢٦٣

[٤] سورة آل عمران من الآية ١٧٣-١٧٤

[٥] آل عمران من الآية ١٦٥

النبي صلي الله عليه وسلم إلخ .. " [١] . فالأمير كأستاذه يري أن عقيدة القضاء والقدر ليست لها علاقة بعقيدة الجبر، "ولو كان في هذه الدعوي ذرة ما من الصحة لما نهض الصحابة أخبر الناس بالاسلام وفتحوا نصف كرة الأرض في خمسين سنة " [٢] .

ثم يختتم الأمير حديثه حول هذه المسألة بقوله : " وحقيقة الأمر أن كل ما هو وارد في القرآن من آيات القضاء والقدر إنما كان مقصوداً به سبق علم الله بكل ما يقع ولم يكن مقصوداً به نفي الاختيار والتزهيد في الكسب " [٣] .

والحق أن الامير شكيب قد تنبة وفى وقت مبكر إلى الأضرار الاجتماعية و الخلقية التى تصيب المجتمع بالأمراض فتفتك بالأمم و تهد من كيانها إذا جعلت القدر حجة لكل أحد ، لاسيما عندما ينسحب الاحتجاج بالقدر من موقف الانسان الفرد إلى موقف الجماعة فتكون المعصية اكبر و البلوى طامة حين تقاد الشعوب إلى ارتاهات الخلقية المضللة فتصاب بعمى الرؤية للمستقبل وتكون فريسة للأمراض الاجتماعية والانحرافات الخلقية حتى إذا حقت عليها سنة الله فى كونه فلا تجد علة أوجهة تعتذر بها إلا أنه (لاحذر يغنى عن قدر) [٤] .

لذلك كان يحذر من الجمود ويرى أن خطر الجامدين الذين يعتقدون أن الإسلام دين تسليم دون أن يكون هذا التسليم مقرونا بالعمل وبالسعى وبالكدح، لايقل عن خطر الجاحدين الذين يريدون أن يفرنجوا المسلمين ويخرجوهم عن جميع مقوماتهم ومشخصاتهم، يقول شكيب : " فقد أضاع الإسلام، جاحد وجامد ".[٥] . فالمسلم الجامد هو الذى طرق لأعداء الإسلام على الإسلام، وأوجد لهم السبيل إلى القالة بحقه، حتى قالوا إنه دين لايأتلف مع الرقى العصرى ، وإنه دين حائل دون المدنية "

" والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لاتأتلف عقائدهم مع المدنية، وهم الذين يحاولون دون الرقى العصرى والإسلام براء من جماداتهم هذه " [٦].

---

[١] ، [٢] لماذا تأخر المسلمون ، مرجع سابق ص ١٠٩ ، ١١٠

[٣] المرجع السابق ص ١١١

[٤] قضية الخير والشر فى الفكر الإسلامى، د. محمد السيد الجليند ص١٣٤

[٥] لماذا تأخر المسلمون، ص٨٨

[٦] لماذا تأخر المسلمون، ص١١٣

obeikandl.com

الفصل الثانى

- موقف الأمير من الدروز
- علاقة الدروز بالإسماعيلية الفاطمية
- الجانب الباطنى فى عقيدة الدروز فيما يتعلق بـ :
  - * الألوهية
  - * يوم القيامة و الثواب و العقاب
  - * تأويل آى القرآن الكريم
- الدرزية كمذهب ينتسب للإسلام
  - * موقفهم من أركان الإسلام
  - * موقفهم من رسول اللة (صلى الله عليه و سلم)
  - * موقفهم من القرآن الكريم
- حكم علماء الإسلام فى الدروز
- نقد موقف الأمير من الدروز

obeikandl.com

موقف الأمير شكيب أرسلان من (الدروز)

إنّ ما كشف حديثاً ونشر عن مذهب (الدروز) خاصة بعد أن كلفت مشيخة العقل سامى مكارم بتأليف (**أضواء على مسلك التوحيد**) للرد على كتاب عبد الله النجار (**مذهب الدروز والتوحيد**) وبعد إكتشاف الكثير من مخطوطاتهم وكتبهم المقدسة ولاسيما كتابهم (**مصحف المنفرد بذاته**) يجعلنا نؤكد أن الإسلام الذى نفهمه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع السابقين ولاسيما فى القرون الأولى قبل وجود الحاكم بأمر الله الفاطمى لايتفق مع الإسلام الذى يعنيه الدروز فى شىء . فهل تغيرت عقيدة الدروز عما كانت عليه عندما كتب الأمير شكيب أرسلان مقالاً [١] يقرر فيه ، أن الدروز فرقة إسلامية جعل عنوانه (**ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً**) وفيه يقول : (الدروز فرقة من الفرق الإسلامية ، أصلهم من الشيعة الإسماعيلية الفاطمية و الشيعة الإسماعيلية الفاطمية أصلها من الشيعة السبعية ، القائلين بالأئمة السبعة ، وهؤلاء هم من جملة المسلمين كما لايخفى .

فإذا قيل أن الدروز هم من الفرق الباطنية التى لايحكم لها بالإسلام ، فالجواب : إن الدروز يقولون إنهم مسلمون ويقيمون جميع شعائر المسلمين ويتواصون بموافقة الإسلام والمسلمين فى السراء والضراء ويقولون أن كل من خرج عن ذلك فليس بمسلم . ولهذا أصبح من الصعب على المسلم الذى فهم الإسلام كما فهمه السلف الصالح . والذى سمع حديث (فهلاشققت عن قلبه) أن يخرج الدروز من الإسلام ، وفى الشرع المحمدى قاعدة نحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر ، وقد قال الله تعالى " ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا [٢]" وهؤلاء لايلقون السلام فقط ، بل يلقون السلام ويقولون أنهم مسلمون ويحفظون االقرآن ويلقن ملقنهم الميت : (واذا جاءك منكر ونكير وسألاك مادينك، ومن نبيك ، وماكتابك ، ومن إخوانك وما قبلتك ، فقل لهما : الإسلام دينى ومحمد نبيى ، والقرآن كتابى ، والكعبة قبلتى ، والمسلمون إخوتى) وليس من شعائر الإسلام شىء لايقيمه أو لايوجب إقامته الدروز وإذا قيل أنه مع كل هذه المظاهر تحتوى

---

[١] شكيب أرسلان ، جريدة الشورى ، بتاريخ ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ هـ

[٢] سورة النساء ، آية ٩٤

عقيدتهم الباطنية التى تعرفها طبقة العقال على ما يصادم أركان عقيدة السنة والجماعة ولايتفق معها فى شىء ، فالجواب : لقد وجد فى الإسلام أئمة كبار يترضى عنهم عند ذكرهم ، ولهم قباب تزار وتعلق فيها القناديل ، وكانوا يقولون بوحدة الوجود ، فهل وحدة الوجود مما يطابق السنة ؟ كلا ، فهل أخرج هؤلاء الائمة من الإسلام ؟ كلا .

أما تجسد الآله فليس من عقيدة الدروز كما يتهمهم بعضهم ، والتجسد شىء والتراثى شىء آخر ، وأما تأويل آى القرآن الكريم بحسب زعمهم ، فكم من فرقة فى الإسلام إنفردت بتأويل للآيات الكريمة [١] .

ويستمر الأمير شكيب أرسلان فى دفاعه عن إسلام الدروز ، إلا أننا نجد فى مقاله هذا ثلاث مسائل ينبغى الوقوف عندها ودراستها :

الأولى : علاقة الدروز بالإسماعيلية الفاطمية ، وكيف تطورت عقيدتهم عن عقيدة الإسماعيلية الشيعية .

الثانية : الجانب الباطنى فى عقائد الدروز ، وخاصة فيما يتعلق بالألوهية ، والثواب والعقاب ، وتأويل آى القرآن الكريم .

الثالثة : الدرزية كمذهب إسلامى ، وماموقفهم من أركان الإسلام الخمسة ، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم ، ومدى حرص الدروز اليوم على إظهار شعائر الإسلام والإرتباط بالمسلمين .

علاقة الدروز بالإسماعيلية الفاطمية

الإسماعيلية ، فرقة من فرق الشيعة سميت بهذا الإسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذى لم تعترف الشيعة الإثناعشرية بإمامته ، بينما وقف الإسماعيليون عند إمامته فسموا لذلك بالسبعية . وإسماعيل هو الإبن الأكبر للإمام جعفر الصادق والذي توفى فى حياة والده سنة ١٤٣هـ وأراد جعفر أن يؤكد وفاة إبنه بأقوال شهود عديدين فكتب محضراً بذلك وأشهد عليه والى المدينة[٢] . وقد إنقسم أتباعه بعد ذلك إلى ثلاث فرق :

الأولى : قالت بإمامة موسى الكاظم وعرفوا بالإثنى عشرية .

الثانية : قالت أنها منتظرة لإسماعيل لأن إسماعيل لم يمت ولكنه أظهر موته تقية من خلفاء

---

[١] أحمد الشرباصي ، الأمير شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، مرجع سابق ص ٢٠-٢١

[٢] الفصل فى الملل و الاهواء و النحل ، الشهرستانى ج٢ ص٥

بنى العباس .

الثالثة : قالت أن جعفراً نصب إبنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات إسماعيل فى حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب إسماعيل للدلاله على إمامة إبنه محمد إبن إسماعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية[١] .

وإنقسمت المباركية إلى قسمين : قسم وقف عند إمامة محمد المكتوم وقال برجعته وأنه المهدى المنتظر وهؤلاء هم القرامطة ، وقسم قال بإستمرار الإمامة فى أئمة مستورن حتى اللحظة التى حكمت فيها الدعوة الإسماعيلية حيث أسس الإمام الشرعى عبد الله المهدى الدولة الفاطمية فى المغرب [٢] .

ومن أشهر دعاة المذهب الإسماعيلى **(ميمون القداح)** الذى وضع أسس المذهب . ومما يذكر فى هذا المجال أن مؤرخى الإسماعيلية يحلو لهم دائماً أن يتحدثوا عن هذه الفترة من تاريخ أئمتهم وهى الفترة التى تعرف عندهم **(بدورالستر)** – إبتداءً من محمد بن إسماعيل وإنتهاء بعبد الله ، فكل مؤرخ من مؤرخى الإسماعيلية تناول الحديث عن هذه الفترة بما يبدو له ، بحيث جاء حديثهم مضطرباً أشد الاضطراب مختلفاً أشد الإختلاف فهم مختلفون فى عدد أئمة هذه الفترة ، وهم مختلفون أيضاً فى أسماء هؤلاء الأئمة [٣] .

ويعلق الدكتورمحمد أحمد الخطيب على هذا الإضطراب التاريخي عند الإسماعيلية بإعتقاده أن هذا الإضطراب يضاف إلى جملة الشبهات المحيطة فى نسب العبيدين إلى فاطمة الزهراء من ذرية جعفر الصادق ويؤكد ما رواه المقريزى أن عبيد الله الملقب بالمهدى ماهو إلا سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح الذى إدعى أنه خرج من ستره وأعلن إمامته ودعوته بعد أن كانت فى ستر وخفاء .

وبذلك دخل تاريخ الإسماعيلية فى دور جديد عرف **(بدور الظهور)** بعدما أعلن عبيد الله قيام الدولة العبيدية سنة ٢٩٧ هـ وقد استطاعت الدولة العبيدية أن تفتح مصر على يد أحد قوادها وهو جوهر الصقلى عام ٣٥٨ هـ فى عهد المعز لدين الله الفاطمى الذى نقل

---

[١] د. أحمد محمد الخطيب ، الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى ، ص ٥٧-٥٨

[٢] عبد اللة الأمين ، دراسات فى الفرق و المذاهب (مرجع سابق) ص ٥٩

[٣] د. أحمد محمد الخطيب ، الحركات الباطنية (مرجع سابق)، ص ٦٤

بعد ذلك عاصمة ملكه من المغرب إلى مصر حيث بنى القاهرة وخلف المعز ولده العزيز بالله ثم تولى الحكم بعد وفاته ولده أبو علي المنصور الذى لقب بالحاكم بأمر الله الذى ناصر مذهباً انشق عن الإسماعيلية سنة ٤٠٨ هـ عرف بالدرزية أعلنه دعاة الإسماعيليين الفرس الذين نادوا بألوهية الحاكم بأمر الله[١] . وهنا نقف عند شخصية الحاكم بأمر الله الذى هو محور الحديث عن نشأة الدروز وتاريخهم لأن عقيدة طائفة الدروز تقوم على تأليه الحاكم وعبادته .

أسس الحاكم بأمر الله مركزاً لإعداد وتوجيه دعاة الإسماعيلية (أسماه دار الحكمة) ولهذه التسمية مغزى يدل على الإتجاه الفلسفى الذى أريد أن يتخذه هذا المعهد والذى يعتبر محور العقائد الإسماعيلية ، لذلك فقد إستقطب هذا المركز الدعاة الإسماعيليين من كل مكان.[٢] . وقد إحتشد فى دار الحكمة طائفة من دعاة الإسماعيلية الملاحدة فالتفوا حول الحاكم بأمر الله وزينوا له فكرة (ألوهيته) ، مما جعله وراء هذه الدعوة يرعاها و يشجع دعاتها [٣] . ويسوق المؤرخون الذين تناولوا حياة الحاكم بأمر الله الكثير من الأخبار والتصرفات الشاذة والمتناقضة المنسوبة إليه ويؤكد بعضهم أن الحاكم كان يرمى بتصرفاته الشاذة هذه التمهيد لإدعائه الألوهية ولقد أصبحت هذه الأفعال والتناقضات عند الدروز أموراً تدل على ألوهيته لأن لها ظاهراً وباطناً ، والمعروف للإنسان العادى هو الظاهر فقط من تلك الأفعال ، أما باطنها فهو من إختصاص الدروز وحدهم . لقد بدأت الدعوة الجهرية لدعوة الحاكم عام ٤٠٨ هـ على يد ثلاثة من دعاة الإسماعيلية هم : حمزة بن على الزوزنى ومحمد بن إسماعيل الدرزى المعروف بنشتكين والحسن بن حيدرة الفرغانى المعروف بالأخرم أو الأجدع . هذه الإعتقادات ظهرت فى ظل أجواء ومعتقدات العقيدة الإسماعيلية ، وهو ما يؤكده الأمير شكيب أرسلان بقوله ان أصل الدروز من الشيعة الإسماعيلية الفاطمية ، والحق أن نسبة الدروز إلى الإسماعيلية الفاطمية لاتقترب بالدرزية إلى العقيدة الإسلامية بل تباعد بين الإسماعيلية والعقيدة الإسلامية الصحيحة ولقد ذهب بعض الباحثين إلى القول : " إن عقيدة الدروز لم تخرج فى جوهرها عن جوهر المذهب الإسماعيلى الذى لم يكن مكشوفاً

---

[١] المرجع السابق ص ٦٩-٧٠

[٢] محمد عبد الله عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ص١٦٤

[٣] الحركات الباطنية ص ٢٠٢

لعامة الناس ، ولعل الحاكم حينما أعلن مذهبه كان يرى أن الوقت قد حان للكشف عن بعض العقائد البالغة السرية ، على حين خالفه فى ذلك معظم الدعاة والسلطات الفاطمية الرسمية [١]. وبناءاً على ذلك فإن إعلان الحاكم الربوبية لم يكن خروجاً عن المذهب الإسماعيلى ، وإنما كان مساساً بباطنية المذهب . ويؤيد هذا أن دروز اليوم يعتقدون بوجود إلتقاء بين الإسماعيلية والدروز فى العقائد حتى أن الدروز يعتقدون أن الإسماعيلين إخوانهم ، ولكنهم يسمونهم بالتقصير [٢] .

والأمير شكيب أرسلان ينكر على من يقول أن الدروز من الفرق الباطنية التي لايحكم لها بالإسلام مؤكداً أن الدروز يقولون أنهم مسلمون ويقيمون جميع شعائر المسلمين . ومع إقرار الأمير شكيب (الضمني) – كما أفهم – بأن عقيدة الدروز التي تعرفها طبقة العقال تُحتوى علي مايصادم أركان عقيدة السنة والجماعة ولا يتفق معها في شئ إلا أنه يرى أن هذه الخلافات لاتخرج الدروز من الإسلام ثم ينفي أن يكون تجسد الإلهمن عقيدتهم ، وأنهم في تأويلهم لآيات القرآن الكريم لاينفردون بذلك عن الفرق الإسلامية الآخرى .

وقبل أن ننهي حديثنا عن تطور العقيدة الدرزية عن الإسماعيلية نقدم ملخصاً لأصول العقيدة الدرزية وقواعدها لنستطيع أن نتطرق من خلالها بالتفصيل للجانب الباطني في هذا المذهب . فالدروز يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله ، وفي رجعته آخر الزمان ، وينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ، ولا يأخذونبشيءمن أحكام وعبادات الإسلام بل ينكرون أركان الإسلام جميعها ، وقد جعل الدروز بدل أركان الإسلام ، سبعة خصال توحيدية ، وهم يعتقدون بتناسخ الأرواح وإنتقالها إلي الأجساد الإنسانية ، ولهذا فهم لايعتقدون بالجنة والنار ، والثواب والعقاب ، فالثواب يكون بإنتقال الروح إلي منزلة أرفع حينما تنتقل من جسد إلي جسد ويكون العقاب بتدني منزلتها ، أما القرآن الكريم فإنهم يقولون أنه من صنع سلمان الفارسى ، والذى هو حمزه في عصر الحاكم .

---

[١] محمد العزاوي ، فرقة النزارية عن الحركات الباطنية ، ص ٢١٢

[٢] عبد الله النجار ، مذهب الدروز والتوحيد ، ص ٣٨

الجانب الباطني في عقائد الدروز

الألوهية

سبق أن ذكرنا أن الدروز يطلقون علي مذهبهم إسم (مذهب التوحيد) ويرون أن مذهبهم التوحيدى هذا قائم علي الإسلام ، غير أنه يفسر آيات التنزيل تفسيراً باطنياً خاصاً ، يخرجه عن باطن التأويل ، كما يرون أن مذهبهم يخالف أهل التنزيل (ويقصدون بهم المسلمين) في أنه ينظر نظرةً خاصةً فيما تنطوى عليه الألفاظ من معاني ودلالات روحانية ، ويخالف أهل التأويل (ويسمونهم أهل الباطن) ويقصدون بهذه التسمية الإسماعيلية ، أقرب المذاهب لمذهبهم في تفهم رموزها الخفية [١] .

وفلسفة التوحيد عند الدروز تقوم علي نفي الصفات والآسماء والحالات والجهات والقدم والتشبيه عن الله ، (بمعنى ان الله هو الجمال لاالجميل ، والقدرة لا القدير والحياة لا الحى ، والعلم لا العليم .. الخ فان الجميل لايستغني عن الجمال والقادر تلزم له القدرة ، والحي تلزمه الحياة والعالم بالشيء لاغني له عنه ، كأنما هذه جميعا أمور أو اجزاء منفصلة عنه متبعة له أو كأنها غير ذاته [٢] .

ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن ما ذكر عن التوحيد في رسائل الدروز , وحديثهم عن لاهويتة المعبود , يتفق تمام الاتفاق مع ما ورد في كتب الدعوة الاسماعلية عن الله سبحانه وتعالى ففي كتاب ((راحة العقل)) لأحمد حميد الكرماني , الذى كان معاصرا لحمزه بن على , نجد سورا كاملا ذا سبعة مشارع عن التوحيد والتقديس ، وحديثه في ذلك كله هو حديث رسائل الدروز فقد جعل الكرماني المشرع الأول : في بطلان كونه تعالى ليساً والمشرع الثاني في بطلان كونه تعالى أيساً والمشرع الثالث في أنه تعالى لاينال بصفة من الصفات , أنه لايجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ... ثم ختم المشرع السابع بأن أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتمجيد والاثبات ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى [٣] .

---

[١] مذهب الدروز والتوحيد ، ص ٨٣

[٢] مذهب الدروز والتوحيد ، ص ٨٣

[٣] طائفة الدروز (محمد كامل حسين ، ص ١٠٤ – ١٠٥) ـ الحركات الباطنية (ص ٢٢٤)

ثم أن الدروز ياخذون هذه الآراء مجتمعة ويجعلونها في لاهوت معبودهم الحاكم بأمر الله ، فهم يعتقدون أن له حقيقة لاهوتيه لاتدرك بالحواس ولا بالأوهام , ولاتعرف بالرأى ولابالقياس كما تقول الرساله ١٣ : ((إن المولى سبحانه , لاقديم ولا أزل لأن القديم والأزل مخلوقان . هو خالقهما ...حقيقة لاهوته لاتدرك بالأوهام والحواس . ولا تعرف بالرأى ولابالقياس ....ليس له مكان معروف ، فيكون محصوراً فيه ، وتخلو بقية الأماكن منه . ولا يخلومنه مكان فيكون عاجز القدرة . ولا هو بأول ، فيحتاج إلى آخر . ولا بآخر فيكون له أول . ولا بظاهر فيحتاج إلى باطن . ولا بباطن فيكون مستتراً بظاهر)) [١] . والدروز لايعتقدون أن الله دخل في جسم – تعالى الله عن ذلك – ولكنهم يعتقدون أنه سبحانه اتخذ له حجاباً وصورة ناسوتيه ، احتجب بها أمام الناس [٢] . ومعني هذا كله أن الإمام الفاطمي المعروف (بالحاكم بأمر الله) هو عند الدروز بشر في الأعين المجردة ويعيش بين الناس كما يعيش غيره من البشر وذلك عند الذين لايعرفون حقيقته ، أما الدروز الذين عرفوا حقيقته فيذهبون إلى أنه الإله المعبود اتخذ لنفسه صورة أنسية سماها الناس (الحاكم بأمر الله) . يقول عبد الله النجار تحت عنوان : (التجلي) ، أما التجلي فيقول المذهب مناقشاً : أنه سبحانه أظهر لنا حجابه ومقامه رحمةً منه ورأفة (الرسالة ١٣) ((فإن قال قائل كيف يجوز أن نسمع كلام البارى سبحانه من بشر او نرى حقيقته في الصور ؟ قلنا : انتم تعتقدون أن الله عز وجل خاطب موسى من شجرة ومن جبل وسميتموه كليم الله ، فإن كانت الشجرة " حجابه " ، فإن من يعقل ويفهم أحق أن يكون حجاب الله مما لايعقل ولا يفهم وكيف يجوز للبارى سبحانه أن " يحتجب " في شجرة يخاطب كليمه منها ، ثم تحرق الشجرة ويتلاشى حجابه ؟)) [٣] . وهذا الذى يذكره الأستاذ عبد الله النجار منقول عما كتبه حمزة في " الرسالة الموسومة لكشف الحقائق " . ويواصل الأستاذ عبد الله النجار عرضه لرأى المذهب في مسألة التجلي وكيفية إتخاذ المعبود لمقامات ناسوتية فيقول متحدثاً عن الإله – تعالي الله عما يصفون – نقلاً عن الرسالة ٣٦ أنه : (تقرب إلينا بنا . وأنس عقولنا بصورنا وظهر لنا بجميع افعالنا . لتقبله إفهامنا . فلا نقول أن هذه الصورة المرئيه هى هو،

---

[١] مذهب الدروز والتوحيد ، ص ٨٤

[٢] الحركات الباطنية ، ص ٢٢٤

[٣] مذهب الدروز والتوحيد ، ص ٨٧

فنجعله محصوراً محدوداً . بل نقول هو هى ، إستتاراً وتقرباً وتأنيساً ، بغير حد ولا شبه ولا مثل .

أو كما نطق القرآن (الآية ٣٩ من سورة النور) " كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً ، حتي إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ...) كمثل الناظر في جوهر المرآه فهو يرى نظير صورته بغير لمس ولاإدراك كيفية ولاتحديد ماهية (إن الله لو كان موجوداً علي صورة مخالفة لبريته . وظهر له بمعني يليق لعظمة أولوهيته لم يشك أحد من البرية ، وارتفع التفاوت والتفاضل ، وسقط الثواب والعقاب) (الرسالة ٦٩) ولذلك : (ظهر في حد الطفولة ثم الكمال ثم اعتل في ظاهر الأمر . لئلا يكون عاجزاً عن ذلك (عن الإعتلال) . فإن العجز (إرادة العجز والقدرة عليه) من القادر قدرة) (الرسالة ٦٧) .

ويسعى الأستاذ عبد الله النجار إلى ربط ماورد في رسائل حمزة بالنظريات الفلسفية ، فينقل عن (الرسالة ٩) القول : (إن الروح لاتدرك إلا بالجسم) ثم يعلق علي ذلك بقوله : فما أقرب هذا القول إلى نظرية (باروخ اسبينوزا) ومؤداها أن الوجود يتألف من الطاقة العقلية والطاقة المادية أو المادة والوعي وإمتدادهما بالجسد والروح في الإنسان إنما هو حالة طارئه من حالات الله في الوجود .

ثم ينقل عن (الرسالة ٦٧) هذا القول في بيان وتبرير إعتقاد الدروز بتجلي المعبود في صورة ناسوتية : (فأى عدل يقتضي أن يكون فوق سبع سموات . علي كرسى . فوق السماء السابعة وقد كلفنا ، مع هذا ، عبادته ومعرفته ؟ . والمرء ليس في وسعه أن يعرف ماخلف الجدار القريب إن لم يكشف عنه . فإن ظهور الله نفس العدل . فلما صح أن إبن آدم أفضل المخلوقات ، وجب أن يختجب البارى في أشرف المخلوقات) .

وكذلك الرسالة ٧٠ تردد (أن فيثاغورث كان يعتقد أن البارى موجود نور محض . وأنه لابس جسداً ما ، يستتر به لئلا يراه إلا من استاهل ذلك واستحقه وقام في عبادته .. وهكذا يقول أفلاطون معلم أرسطو طاليس ومن اتبعه) .

(إن البارى سبحانه لاتخلوا الدار من وجوده طرفة عين ولو خلت الارض منه لزالت الحجة علي الخلق في تلك اللحظة) (الرسالة ٧٥) .

(ظهر بالشكل البشرى لأن حكمته قضت بذلك إشفاقاً علي جهل العالم المتمسك بالمحسوسات . وإمتحاناً لهم . لتكمل عليهم الحجة) (الرسالة ٤٤) . فظهوره (أنسية لعقولنا . وشفقة منه علينا) (الرسالة ٢٤) . ثم يختم الأستاذ عبد الله النجار ببيان أن هذا

الظهور لم يكن ظهوراً حسياً مستشهداً بما جاء في الرسالة ١٩ من أن الحاكم بأمر الله حين كان يركب للخروج في النهار (كان للأتان ظل ، ولاظل للراكب ... لاهوته المحجوب عنه . وناسوته المظهر لنا) [١] .

سبع مقامات

المقامات،عند الدروزوالإسماعيلية ، هي الظهورات أو التجليات وهيفىنفس الوقت إمامات.

والدروز يعتقدون أن الصورة الناسوتية للآلـه المعبود ظهرت في الأدوار الماضية ، ويعتقدون أنها سبعة أدوار والآلـه المعبود أظهر ناسوته في هذه الأدوار عشر مرات أو مقامات فهو في نظرهم واحد لايتغير في كل دور أو مقام ، وفي رسالة السيرة المستقيمة حديث طويل عن الأدوار التي أظهر فيها المعبود ناسوته لآن المعبود إن لم يظهر ناسوته من حين لآخر لكان الناس يعبدون العدم [٢] . اما المقامات الناسوتية التي يعتقد الدروز أن المعبود ظهر فيها فيرتبونها كما يلي :

١- العلي .

٢- البار .

٣- أبو زكريا : ظهر في وقت السماء الثالثة سنة ٢٢٠ هـ .

٤- عليا : ظهر في وقت السماء الرابعة .

٥- المعل : ظهر في وقت السماء الخامسة .

٦- القائم : كان طفلاً استودعه مع سر إمامته أبوه المعل برعاية سعيد المهدى الملقب (عبيد الله) سنة ٢٨٠ هـ ، وهو مؤسس الدولة الفاطمية . تلاه المنصور من سنة ٣٣٤ هـ إلى سنة ٣٤١ هـ ثم المعز من سنة ٣٤١ هـ إلى سنة ٣٦٥ هـ ، وهما مع القائم يعتبرون في المذهب الدرزى ذاتاً واحداً .

٧- العزيز من سنة ٣٦٥ هـ إلى سنة ٣٨٦ هـ . وأخيراً الحاكم (المنصور) وهما في حساب المذهب واحد كقول الإنجيل : (أنا والأب واحد) [٣] .

هذا هو الترتيب الذى ذكره عبد الله النجار في كتابه مذهب الدروز والتوحيد ، ونقله عنه الدكتور محمد أحمد الخطيب في كتابه الحركات الباطنية ،ولكن الدكتورمحمد كامل

---

[١] عبد الله النجار ، مذهب الدروز والتوحيد ، ص ٨٦ - ٨٧

[٢] طائفة الدروز ، ص ١٠٧

[٣] مذهب الدروز والتوحيد ، عبد الله النجار ، ص ٩٥

حسين ينقل عن رسالة السيرة المستقيمة ترتيباً آخراً للإدوار التي أظهر فيها المعبود ناسوته جعل ترتيب ظهور المعبود في صورة القائم قبل ظهوره في صورة أبي زكريا القرمطي .

ثم يعلق علي كل ذلك الدكتور محمد كامل حسين بقوله : (وليس لنا أن نناقش هذه العقيدة ، إلا أننا نحب أن نسجل أن ظهور أبي زكريا القرمطي كان أسبق من ظهور القائم بأمر الله ، ثم قولهم أن القائم كان بمصر وبنى بها باباً يسمى الرشيديه – كل ذلك بعيد عن الحقيقة التاريخية ، حقيقة حاول القائم بأمر الله فتح مصر أكثر من مرة ولكنه لم يوفق ، فكيف أقام بها وشيد بها باباً ؟! [١] .

هذه هي عقيدة الدروز في التوحيد كما نقلها الباحثون عن رسائل الدروز من وجهات نظر متعددة ، وبأقلام متعددة وكلها تؤكد إيمان الدروز بألوهية الحاكم ، ويؤيد ذلك ماكتبه الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه إسلام بلا مذاهب وهو الذى عاشر الدروز سنوات ، وعقد صلات طيبة مع زعمائهم وكتابهم ، واطلع علي الكتب المعاصرة بأقلام الاساتذة الدروز أنفسهم ، وقد تعرض في كتابه لما جاء في الكتب الحديثة عن الدروز بأقلامهم ، مثل كتاب (مذهب الدروز والتوحيد) للأستاذ عبد الله النجار – الذى نقلنا عنه وللملاحظات التي أبديت عليه من الدروز أنفسهم ، في كتاب (أضواء علي مسلك التوحيد) الذى قدم له الأستاذ كمال جنبلاط بمقدمة طويلة ثم كانت له توطئة بقلم (بايازيد) وبحث موضوعي للدكتور سامي مكارم يقرر فيه إعتقاد مهم يجب علي الدرزى أن يؤمن به ، وهو أن الناسوت لاينفصل عن اللاهوت ، ذلك أن الحجاب هو المحجوب ، والمحجوب هو الحجاب ، فالناسوت في اللاهوت مثل الخط من المعنى ، فيقول : (ويمكننا أن نقول : أن الناسوت من اللاهوت كالخط من المعنى ، وكما أن فكر الإنسان المحدود بالكيفية والإضافة والزمان وماشابه ذلك لايستطيع أن يدرك المعاني مجرده من الخط أو الصورة أو الصوت كذلك لايمكن أن يدرك اللاهوت وجه من الوجوه وإنما يتجلي الله في الناسوت ، ويكون هذا الناسوت قد تنزه عن كل ماليس هو في حقيقته وشموله فأضحى تشخيصاً للإنسان الكامل ، أى ناسوتاً مجرداً متطهراً مثالياً متنزلاً بتجرد الباقي السرمدى فيه عن التوهم . وهذا هو التأنيس بالنسبة للآخرين) [٢] .

---

[١] طائفة الدروز ، ص ١٠٧

[٢] أضواء على مسلك التوحيد / سامي مكارم ، ص ١٢٨

" هذه هي نظرتهم للاهوت والناسوت ، تظهر لنا بجلاء أن الدروز يؤمنون بظهور الله في شخص إنسان ، لأن الإنسان في نظرهم هو الأولي بإحتجاب الله في صورته ، بصفته أفضل المخلوقات . وأن ظهورالله – سبحانه وتعالى عما يقولون – بصورة ناسوتية سببه – كما يزعمون – رحمة الله للناس وعدلاً منه لهم في مشاهدتهم إياه ليؤمنوا به وبوجوده" [١] .

" وبما أن الحاكم بأمر الله هي الصورة الناسوتية الأخيرة لله – كما يزعمون – لهذا يعبدونه ويقدسونه ، وينتظرون ظهوره بعد غيبته .... وهذا المعتقد هو المرتكز الرئيسي عند الدروز [٢] . وسواء سمي هذا المعتقد تجسد – وهو ماينفيه الأمير شكيب أرسلان بقوله (وأما تجسد الإله فليس من عقيدتهم كما يتهمهم بعضهم ، والتجسد شئ والترائى شىء آخر [٣] – أو سمي ترائى أو حلول أو تجلي أو ظهور أو حلول اللاهوت في الناسوت فإن ذلك لن يغير شيئاً في حكم الإسلام ببطلان هذا المعتقد والحكم علي معتقده بالكفر الصريح ، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولاريب أن هذا القول – الحلول والتجسيد – كفر صريح بإتفاق المسلمين ، فقد ثبت في صحيح مسلم ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت) [٤] فإذا قيل : ظهر في صورة إنسان وتجلي فيه فإن اللفظ يصير مشتركاً بين أن تكون ذاته فيها ، وأن تكون قد صارت بمنزلة المرآة التي يظهر فيها ، وكلاهما باطل ، فإن ذات الله ليست في المخلوقات ولافي نفس ذاته ترى المخلوقات كما يرى المرئى في المرآة) [٥] .

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع آخر إمتناع الإتحاد بين الخالق والمخلوق فيقول : (إن الإتحاد بين الخالق والمخلوق ممتنع ، لأن الخالق والمخلوق إذا إتحدا ، فإما أن يكونا بعد الإتحاد إثنين كما كان قبله ، وهذا تعدد وليس بإتحاد ، وإما أن يكون الخالق قد إستحال وتبدلت حقيقته كسائر مايتحد مع غيره ، وهذا ممتنع على الله ، إذ الإستحالة تقتضى عدم ما كان موجوداً والله تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته الملازمة له والتي هي الكمال ، والتى إذا عدمت كان ذلك نقصاً يتنزه الله تعالى عنه) [٦] .

---

[١] ، [٢] الحركات الباطنية ، ص ٢٢٨

[٣] من مقال الأمير محل الدراسة

[٤] رواه مسلم في كتاب الفتن ورواه الترمذي في كتاب الفتن

[٥] إبن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، مجلد ٢ ، ص ١٧٩ – ١٨٠

[٦] أنور الجندي / المؤامرة على الإسلام ، ص ٥٤ ، عن عقيدة الدروز ص ٢٠١

وينقل الأستاذ أنور الجندى عن أبي حامد الغزالى قوله عن فكرة الإتحاد بين الله والإنسان : (أن قول القائل : أن العبد صار هو الرب كلام يناقض نفسه ، بل ينبغى أن يتنزه الرب سبحانه عن أن يجرى اللسان في حقه بأمثال هذه المحاولات . وطريقة البرهنة علي فساد ذلك عند الغزالى ، هى أن يورد ثلاثة إحتمالات لمثل هذا الإتحاد المزعوم :

١- إما أن تظل كل ذات من الذاتين موجودة .

٢- وإما أن تفنى إحداهما وتبقى الآخرى .

٣- وإما أن تفنيا معاً .

في الحالة الأولى : لايكون هناك إتحاد **وفي الثانية** : كيف يمكن الزعم بأن هناك إتحاد بين موجود ومعدوم ؟ **وفي الثالثة** : لايكون هناك محل للحديث عن الإتحاد ، بل الأولى أن نتكلم عن الإنعدام والتناقض واضح في جميع هذه الإحتمالات . والعقل هو الذى يقرر وجود هذا التناقض ، بعد أن جاء الشرع يبين فساد فكرة الإتحاد عند النصارى [١] .

نستنتج مما تقدم أن فكرة تجسد الإله في صورة إنسانية هو إجتراء علي الله الذى (ليس كمثله شيء وهو السميع العليم) ، وهي فكرة جاء الإسلام لمحوها من عقول الناس ، لأنها مستقاه من مذاهب وفلسفات تقوم علي الشرك والوثنية ، لذلك جاءت آيات كثيرة تكشف كفر اليهود والنصارى لقولهم وإعتقادهم في حلول الله بإنسان . يقول الله تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههميضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاواحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) [٢].

وإرسال الرسل والأنبياء من قبل الله تعالى ، يدحض كل مزاعم بالحلول والإتحاد ، إذ بظهوره وحلوله أو إتحاده في الإنسان ، ماكانت هناك حاجة للرسل والأنبياء . كما نستنتج من ذلك أن فكرة الحلول والإتحاد لايمكن أن تتفق مع التوحيد الذى هو عقيدة المسلم كما نفهمه من القرآن والسنة ، وكما نفهمه من أول كلمه ينطق بها الإنسان ليكون مسلماً هو شهادة أن (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

---

[١] أنور الجندي / المؤامرة على الإسلام ، ص ٥٥

[٢] سورة التوبة ، آية ٣٠ ، ٣١

ولو أن هؤلاء الذين يعتقدون بألوهية الحاكم ومازالوا في الضلالات والمتاهات التي وضعها حمزه بن علي ، أصغوا إلى نداء عقولهم ما بقي واحد منهم على هذا الاعتقاد الواهى الذى لايصدقه عقل ، ولا تستسيغه نفس ، ولايتفق مع الإسم الذى يرضونه لمذهبهم وهو إسم (**مذهب التوحيد**) ولا نجد مجالاً للإعتراض بأن دروز اليوم ينفون تأليه الحاكم بأمر الله عن معتقدهم بعد ماذكره الأستاذ عبد الله النجار في كتاب (**مذهب الدروز والتوحيد**) أثناء حديثه عن الحاكم بأمر الله ، الذى يقول فيه : (وإني لأذكر عتاب كبير الأشياخ الثقات لأني ذكرت في أحد الكتب المطبوعة أن أم الحاكم كانت صقلبية . إذ قال لي أن الحاكم لا أم له ، مردداً ماجاء في الرسالة ٢٦ : (حاشا مولانا جلى ذكره من الأب والإبن والعم والخال . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) !! [١] .

يوم القيامة والثواب والعقاب

يعتقد الدروز أن الحاكم أظهر لاهوته سنة ٤٠٠ هـ ، وكان يتظاهر أنه من الخلفاء الفاطميين لستر ألوهيته لقلة المؤمنين به ، وإستمر يظهر لاهوته حيناً ويخفيه حيناً آخراً إلى أن أخفاه في السنة الثانية عشرة (أي سنة ٤١١ هـ) ولا يظهر لاهوت آخر مرة آخرى إلا يوم الدين . فمتى سيكون هذا اليوم ؟ .

لم يحدد الدروز تاريخ هذا اليوم ، فرسائلهم تقول إن ذلك أمر مجهول ولكن سيكون ذلك في شهر جمادى أو في شهر رجب ، ولهذا اليوم علامات محددة عندهم [٢] .

وقد إختلفت رسائل الدروز في مكان ظهور الحاكم (**بناسوته**) في هذا اليوم الآخر ، فبعضها وخاصة كتابات حمزة تذهب إلى أن ظهوره سيكون بمصر ، أما رسالة الأسرار ففيها تصريح بأن المعبود سيكون في بلاد الصين يخرج من سد الصين العظيم وحوله شعب يأجوج ومأجوج وهم قوم يؤمنون بمذهب التوحيد [٣] ، ويكونون مليونين ونصف من العساكر مقسمة إلى خمسة أقسام ، كل قسم منها يترأس عليها أحد الحدود فيدخلون مكة المكرمة [٤] .

---

[١] مذهب الدروز والتوحيد / عبد الله النجار ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦

[٢] طائفة الدروز / محمد كامل حسين ، ص ١٢٤

[٣] طائفة الدروز / ص ١٢٥

[٤] الحركات الباطنية / ص ٢٤٨

ثم يتجلى لهم المعبود في صورة الحاكم بأمر الله من الركن اليماني وفي يده السيف فيقدمه إلى حمزة الذي يهدد بسيف الحاكم مخالفي العقيدة ويعطي الحكم للموحدين [١] .

ويعتقد الدروز أن الناس سينقسمون في يوم البعث إلى أربع فرق هم :

أولاً : الموحدون (وهم عقال الدروز) ، وهم الوزراء والحكام والسلاطين .
ثانياً : أهل الظاهر ، وهم المسلمون واليهود .
ثالثاً : أهل الباطن ، وهم النصارى والشيعة .
رابعاً : المرتدون ، وهم جهال الدروز [٢] .

ويجعل حمزة لكل طائفة غير أصحابه سيمة في جبينه أو يده ، وعذابا يتأذى به ، وجزية يؤديها كل عام ، ونحو ذلك من الهوان [٣] (عن مخطوطة في تقسيم جبل لبنان والمؤلف مجهول) .

أما عقيدة الدروز فيما يتعلق بالثواب والعقاب فمرتبطة بإعتقاد آخر يؤمن به الدروز وهو إيمانهم بالتناسخ والتقمص أي بإنتقال النفس من جسم بشرى إلى جسم بشرى آخر ، فالأرواح – كما يزعمون – لاتموت لتبعث ، ولاتنام لتوقظ ، بل أن يوم الحساب – في نظرهم – نهاية مراحل الأرواح وتطويرها في الأجساد ، إذ يبلغ في هذا الوقت (التوحيد) غايته من الإنتصار على العقائد الشركية ، وينتهي الإنتقال والمرور في الأقمصة المختلفة [٤] . فالدروز يعتقدون أن المعبود ظهر في صورة ناسوتية حوالي سبعمائة مرة [٥] ، وأن حمزة بن على (العقل الكلي أو قائم الزمان) قد ظهر بأسماء مختلفة في كل دور من الأدوار التي ظهر فيها إليهم .

ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن كتابات الدروز متناقضة في مسألة التناسخ ، فكتابات حمزة بن على مؤسس المذهب بها تهكم بمن قال بالتناسخ شأنه في ذلك شأن

---

[١] طائفة الدروز / ص ١٢٥
[٢] دراسات في الفرق والمذاهب / عبد الله الأمين ، ص ١٤٩
[٣] الحركات الباطنية / ص ٢٤٩
[٤] مذهب الدروز والتوحيد / عبد الله النجار ، ص ٨١
[٥] طائفة الدروز / ص ١٠٩

obeikandl.com

دعاة الفاطميين ، مع اعترافه بظهور المعبود في صور ناسوتية ، وقوله ايضا بانه هو نفسه (أى حمزة بن على) ظهر في صور مختلفة في الادوار المختلفة ، مما يدل على أن مفهوم التناسخ أو الحلول عند الفلاسفة هو غيره عند حمزة . اما في كتابات الدعاة الاخرين الذين جاءوا بعد حمزة ، فمذهب التناسخ واضح اشد الوضوح ، فنجد في رسالة) الاسرار ومجالس الرحمة للأولياء الأبرار) أن الجسد لايرجع بعد الموت ولكن النفس تحل في جسد آخر ، فنفس الموحد تنتقل الي موحد والمشرك الي مشرك ، ولاتتغير الأنفس ولكنها تغير قمصانها (أى الجسد) [١] . ولذلك فهم يزعمون أن عددهم لايزيد ولاينقص ، لأن التقمص عملية دائمة متواصلة بين أرواحهم . وفي هذا المعني يقول (بهاء) في أحد رسائله : (أليس قد صح عند كل ذى عقل ومعرفة بالحقيقة والفضل ، أن هذه الاشخاص ، أعنى عالم السواد الأعظم لم يتناقصوا ولم يتزايدوا ، بل هى أشخاص معدودة من أول الادوار الي انقضاء العالم والرجوع الي دار القرار..أليس لو زاد العالم في كل ألف سنة شخصا واحدا لضاقت بهم الارض . ثم لو أنه نقص في كل ألف سنة شخص واحد لم يبق منهم أحد ، فصح عند كل ذى عقل راجح أن الأشخاص لم تتناقص ولم تتزايد ، بل تظهر بظهرات مختلفة الصور على مقدار اكتسابها من خير وشر [٢] . ومن هنا كان اعتقاد الدروز الآن بالتناسخ ، فالذى يموت من البشر تنتقل روحه الي جسد يولد جديدا ، ويكون عدد الموتى مساويا لعدد المواليد حتي يظل عدد سكان العالم دون زيادة أو نقصان ! [٣] . وبناء علي اعتقادهم هذا بالتقمص ، فانهم يؤمنون أن العذاب الواقع للانسان يكون بنقلته من درجة عاليه الي درجة دونها من درجات الدين وقلة معيشته وعمى قلبه في دينه ودنياه ، ويستمر تنقله من جسد الي جسد بتناسخ روحه في الأجساد وهو كلما تنتقل روحه من جسد الي جسد تقل منزلته الدينية. أما الثواب عندهم فيكون بتنقله بين الأجساد وارتفاعه في العلوم الدينية من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ درجة حد " **المكاسر** "وهو حد من حدود الدين فيزيد في مالها الي أن يبلغ الي ارقي حد من حدود الدين [٤] .

ويحاول الدروز أن يجعلوا من آيات القرآن الكريم التي تدل علي البعث والنشور ، دليلا علي اعتقادهم بالتقمص ، فهذا أحد كتابهم المعاصرين الاستاذ فؤاد الاطرش يأتي بعدة آيات

---

[١] طائفة الدروز / ص ١٠٩

[٢] رسالة " من دون قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن " عن الحركات الباطنية ، ص ٢٤٠

[٣] ، [٤] طائفة الدروز ص ١١٢ ، ١٢٥

القرآن والسنة مما يدل علي أن الروح مشغولة بصاحبها محبوسة له أوعليه .

غير أن الثابت من كتاب الدروز بعد حمزة بن علي ، ومما كتب عنهم من علماء متخصصين اطلعوا علي رسائلهم وكتبهم القديمة والمعاصرة ، يؤكد إيمان الدروز بالتقمص علي النحو الذى بينا . ويؤيد هذا ماكتبه الدكتور سامى مكارم – والذى ينطق باسم مشيخة عقل الدروز – في كتابه (**أضواء على مسلك التوحيد**) حيث يقول " إن الذين تقبلوا الدعوة وتعرضوا إلى الحقيقة فى الماضى لايزالون يولدون من تقبل الدعوة . كذلك فان التقمص فى معتقد التوحيد ليس تطورا للروح فى هذا الدور ، بل هو تقلب الروح فى شتى الاحوال ، لكى يتسنى لها أن تختبر هذه الاحوال " [١] .

فمن لم يتقبل نداء الحق ، حسب معتقد التوحيد ، لايمكنه الا أن يحصد نتيجة أعماله فى حياته التالية ، وكذلك الحال بالنسبة لمن تقبل هذه النداء وتعرف الى الحقيقة " [٢] .

وفى موضع آخر من كتابه يرد على الاستاذ النجار الذى كذب فى كتابه (**مذهب الدروز والتوحيد**) ، أن يتذكر انسان ما جرى فى حياته السابقة وهو مايعرف عند الدروز (بالنطق) فيقول فى معرض رده : " ويمكننا القول أن منطق عملية التقمص لايتعارض مع تذكر الماضى ، خاصة عندما ندرك أن نزعات الفكر اللطيفة ، حسب عقيدة التوحيد ، تنطوى عند الموت ، فى أعماق النفس المتنقلة من جسد الى جسد . وهذه النزعات والافكار اللطيفة ، كبذور إنطلاقة الحياة التالية ، هى التى تحدد وضع التقمص المقبل ، فلابد لبعض الاذهان اذا صادفت بعض الحالات المناسبة ، أن تتذكر الماضى المباشر الذى كانت تعيش فيه " [٣] .

كل هذا لايدع مجالا للشك فى إعتقاد الدروز الآن بالتناسخ أو التقمص على مايشتمل عليه ذلك من مخالفة للادلة الشرعية الصريحة من القرأن الكريم والسنة .

ومن الآيات القرآنية التى تبطل هذا المعتقد ، قول الله تعالى مخبرا عن حياة البرزخ : " فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها أن كنتم صادقين ، فأما إن كان من المقربين فروح و ريحان وجنة نعيم ، وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، واما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم" [٤] .

---

[١] ، [٢] ، [٣] أضواء على مسلك التوحيد / سامي مكارم ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧

[٤] سورة الواقعة ، آية ٣٨ – الحركات الباطنية ص ٢٤٤

يزعم انها تدل علي التناسخ والتقمص ، ومن هذه الآيات قول الله تعالي ، " كلما نضجت جلودهم ، بدلناهم جلودا غيرها " [١] ، " كيف تكفرون (بنعمة) الله، وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون " [٢]وقوله عز وجل (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ويحي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون) [٣] . ويزعم الآطرش بعد مجيئه بالآيات بقوله : ان تشبيه النفس بالارض اثبات مادى علي التقمص لايقبل الجدل ، فلنتامل في ادوار الأرض ومواسمها وموتها ثم حياتها . ويعلق الدكتور محمد أحمد الخطيب علي هذا بان الاستدلال بشيء لايعني ابدا صحة هذا الاستدلال [٤] . والحقيقة أن مذهب التناسخ كان معروفا في الديانة البوذية والديانة الهندوكية ، كما عرف ايضا أن اليونانين القدماء تحدث عنهم الفلاسفة وقسموه بين نسخ وفسخ ومسخ ورسخ [٥] الا أن هذا المذهب دخيل علي الاسلام ، بحكم الاسلام انه عقيدة باطلة تؤدى الي الكفر ، لآن الآخبار اليقينيه التي جاءت عن طريق القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بينت بطلان هذا الإعتقاد ، وأن الانسان بعد موته يسأل في القبر . فقد ثبت فى السنة سؤال الملكين بعد الممـوت ، وفي القبر ، وهذا يدل بوضوع علي بطلان ما يتوهم به البعض من أن الروح تظل متنقلة بين الأجسام ، كلما انتسخ وجود واحدة منها في جسدها التي هى فيه وانتقلت منه الي جسد آخر ، وهكذا ذواليك [٦] .

والأمير شكيب أرسلان يحاول أن ينفي عن الدروز اعتقادهم بتناسخ الأرواح في مقاله السابق ذكره فيقول متحدثا عن الدروز انهم يحفظون القرآن الكريم ويلقن ملقنهم الميت ، واذا جاءك منكر ونكير وسألاك ، ما دينك ، ومن نبيك ، وما كتابك ، ومن اخوانك ، وما قبلتك ؟ فقل لهما الاسلام ديني ، ومحمد صلي الله عليه وسلم نبيي ، والقرآن كتابي ، والكعبة قبلتي ، والمسلمون اخوتي .

يروى الأمير هذا ليؤكد إيمان الدروز بسؤال الملكين ، بعد الموت وهو الامر الثابت في

---

[١] سورة النساء ، آية ٥٦

[٢] سورة البقرة ، آية ٢٨ ، وقدوردت الأية هكذا بالكتاب والصحيح " كيف تكفرون بالله ... "

[٣] سورة الروم ، آية ١٩

[٤] الحركات الباطنية ، ص ٢٤٣

[٥] طائفة الدروز ، ص ١٠٩

[٦] الحركات الباطنية ، ص ٢٤٤

وقال تعالى " واعبد ربك حتى يأتيك اليقين " واليقين مابعد الموت ، كما قال صلى الله عليه وسلم : " أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه [١] . وقد ثبت فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أتى المشركين يوم بدر فى القليب ناداهم : " يا فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا" وهذا دليل على وجودهم وسماعهم ، وأنهم وجدوا ما وعدوه بعد الموت من العذاب [٢] . وقد أخبرنا تعالى بان هذه الابدان التى فيها ارواحنا ستشهد علينا يوم القيامة بما عملت ، قال الله تعالى : " و يوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون،حتي إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون" [٣] .

مما تقدم من الأدلة الشرعية من الآيات والأحاديث دليل على بطلان التناسخ . وممن تعرضوا لمسألة التناسخ من علماء السلف ابن حزم الظاهرى رحمه الله ، الذى يقول عن عقيدة التناسخ أنه اعتقاد لايقوم على برهان حسى أو عقلى ، وقد قامت الأدلة على حدوث العالم ، وما كان حادث فلابد له من نهاية [٤] . وينقل إبن حزم عن القائلين بالتناسخ قوله : "إلى أن التناسخ هو على سبيل الجزاء ، ذلك أن الله تعالى عدل حكيم رحيم كريم فإذا هو كذلك فمحال أن يعذب من لا ذنب لهم بالجدرى والقروح ، فعلمنا انه تعالى لم يفعل ذلك إلا وقد كانت الأرواح عصاة مستحقة للعذاب بكسب هذه الأجساد لتعذب فيها" [٥] .

ويشابه هذا اعتقاد الدروز أن من ذوى العاهات والمصابين كالأعمى و الأعرج و الفقير والجاهل ، كان مصابهم هو قصاص من ذنوبهم فى مدة حياتهم السابقة [٦] .

---

[١] سورة الحجرات آية ٩٩ – الحركات الباطنية ص ٢٤٥

[٢] رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد (عن الحركات الباطنية ص ٢٤٥)

[٣] سورة فصّلت آية ١٩-٢٢ (عن الحركات الباطنية ص ٢٤٥)

[٤] المرجع السابق ص ٢٤٦

[٥] المرجع السابق ص ٢٤٦

[٦] الدروز والثورة السورية / كريم ثابت ص ٤٨

ويرد ابن حزم هذا الزعم بقوله : "ويكفى بطلان هذا الأصل الفاسد أن يقال له أن الحكيم العدل الرحيم على أصلكم لايخلق من يعرضه للمعصية حتى يحتاج إلى إفساده بالعذاب بعد إصلاحه ولقد كان قادراً على أن يطهر كل نفس خلقها ولايعرضها للفتن ويلطف بها إلطافا فيصلحها بها حتى تستحق كلها إحسانه والخلود فى النعيم ، وماكان ذلك ينقص شيئا من ملكه " [١] .

وبناء على هذا فإن اعتقاد التناسخ باطل من الوجهه الشرعية العقلية ، والأصل فى الشريعة ان كل قول لم يأت عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم فهو كذب وفرية ، ومادام لم يأت عن أحد من الأنبياء عليهم السلام القول بكل هذة المزاعم فقد اصبح قول الدروز فيها باطلا.

تأويل آى القرآن الكريم

التأويل هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، فإذا لم يكن اللفظ محتملا للمعنى الذى حمل عليه ولم يبين المتأول الدليل الذى حمله على ذلك كان تأويلا فاسدا" بل تلاعبا" بالنصوص [٢] .

وقد اتخذ الغلاة فى الإسلام التأويل وسيلة لجعل عقائدهم شرعية وصحيحة ، فكان التأويل أداه لإيهام الناس أن آرائهم متفقة مع نصوص القرآن الكريم . ويجمع أهل السنة على تسمية هؤلاء الغلاة بالباطنية لأنهم جعلوا للقرآن ظاهرا" وباطنا" ، أما الظاهر فهو دلالات ألفاظه العربية حقيقة أو مجازا" ، وأما الباطن فهو ماوراء هذا الظاهر أو هذه الدلالات.

وهكذا أخذ الغلاة من الباطنية يحرفون اللفظ القرآنى عن معناه الذى سيق له الى معان تتفق مع عقديتهم وتنسجم مع أهوائهم ، حتى صارت تلك الفرق الباطنية ترى فى التحوير للمعنى الظاهرى السبيل الوحيد لتفهم القرآن ، وبذلك أهملوا التفسير الصحيح ، بل صارت احكام القرآن فى رأى أتباع تلك الفرق غير واجبة الإتباع .

---

[١] الحركات الباطنية ص ٢٤٦

[٢] التفسير والمفسرون / د. الذهبي عن الفرق والمذاهب ص ٤٧

يقول الإمام أبو حامد الغزالى ، فى كتابه فضائح الباطنية ، "فإنما لقبوا بها (أى الباطنية) لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن ، تُجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشور ، وأنها (أى الظواهر) بصورها ، توهم عند الجهال الأغبياء صورا" جلية ، وهى عند الأذكياء العقلاء رموز وإشرات الى حقائق معينة ، وإن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار ، والبواطن والأغوار ، وقنع بظاهرها ، مسارعا الى الإغترار كان تحت الأواصر والأغلال ، معني (أي متقلاً) بالأوزار والأثقال وأرادوا بالأغلال : التكليفات الشرعية ، فإن من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف ، واستراح من أعبائه ، وهم المرادون بقول الله تعالى : ((ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم)) أى يضع الله التكاليف عن الذين علموا الباطن" [١] . والباطنيون بتأويلهم آى القرآن الكريم تأويلاً باطنياً ينهجون نهج اليهود الذين وضعوا كتابا للتأويل الخفى للتوراة وأهم مسائله رية التعاليم وإمكان فك رموز التوراة ، وكذلك رمزية الأعداد والحروف ، وسموا كتابهم هذا (القبالة) وإليه تنسب طائفة (القبالية) عند اليهود [٢]. "وكان تأويل ابن سبأ لقوله تعالى ((ان الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)) وقوله : إنى لأعجب ممن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد (ص) ، أول تأويل لمعانى القرآن الكريم ، فوضع بذلك هذا المذهب الباطنى بما فيه من قول بالرجعة ، والذى نشأ عليه مذهب التناسخ وقالت به حركات الغلو الأخرى" [٣] .

وطائفة الدروز كغيرها من الفرق الباطنية تؤول آى القرآن الكريم تأويلا يتفق مع عقائدهم وإن خالف تأويلهم ظاهر النص وإجماع المفسرين . وقد مر بنا كيف أتى أحد كتابهم المعاصرين وهو الأستاذ فؤاد الأطرش بعدة آيات وزعم انها تدل على التناسخ والتقمص لا على البعث والنشور كما أجمع المفسرون ومنها قول الله تعالى ((كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها)) [٤] ، وقوله عز وجل ((يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)) [٥] .

---

[١] عن الشيعة – المهدي الدروزي / د. عبد المنعم النمر ، ص ١٢١

[٢] دراسات في الفرق والمذاهب ص ٤٨ عن المعجم الفلسفي / د. جميل صليبا جـ ٢

[٣] الحركات الباطنية ص ٣٢

[٤] سورة النساء آية ٥٦

[٥] سورة الروم آية ١٩

ويزعم الأطرش بعد مجيئه بالآيات بقوله: ان تشبيه النفس بالأرض اثبات مادى على التقمص لايقبل الجدل ،فلنتأمل فى أدوار الأرض ومواسمها وموتها وحياتها" [١] .

ومن النماذج البارزة لتأويل الدروز لآيات القرآن الكريم اثباتا لمعتقداتهم ما ذكره حمزة فى رسالته (الموسومة بكشف الحقائق) ، وفيها يفسر آيات من سورة الحاقة لإثبات صحة ما ذهب اليه فى حدود الدين فيقول : "فهؤلاء الحدود السبعون الذين ذكرناهم ، هم أذرع السلسلة الذى قال في القرآن [٢] : "خذوه فغلوه" ، أى ضد الإمام إذا بلغ غايته وتمت نظريته ، خذوه بالحجج العقلية وغلوه بالعهد وهو الذبح الذى قالوا بأن القائم يذبح إبليس الأبالسة ، "ثم الجحيم صلوه" ، أى غوامض علوم قائم الزمان الذى يتحتم العلماء والفهماء عند علمه ، أى يصمتوا ويتخيروا ، "ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه" أى ميثاق قائم الزمان الذى هو سلسلة بعضها فى بعض ، وهم سبعون رجلا فى دعوة التوحيد .

" وبعد هذا التفسير العجيب الغريب لآيات الله نجد حمزة فى هذه الرسالة يعيب على المسلمين الذين يفسرون هذه الآيات بأنها تهديد لأهل النار ويقول: "فهذه السلسلة الحقيقية ومعانيها ، لاكما ذكره الجهال الحشوية ، فان قالوا : بان الله أراد بالسلسلة تهديد أهل النار والتعظيم عليهم فقد بطلت حجتهم هاهنا لأنه قال سبعون ذراعا ، ولو كان بسبب التعظيم لكان يجب ان يكون ألف ذراع ، فلما لم يذكر غير سبعين ذراعا ، أعلمنا انه اراد بذلك اشخاصا معروفة دينية توحيدية لايجوز لأحد أن يتجاوز حدهم ولايزيد ولا ينقص" [٣] .

وتأويل حمزة هذا لآيات سورة الحاقة يحاول به اثبات مبدأ اساسى فى العقيدة الدرزية ، وهو أن معبودهم اظهر من نوره حدودا خمسة ، ظهروا مع هذا المعبود فى جميع ظهوراته ، ورد ترتيبهم فى رسالة معرفة الإمام إلى :

أولاً : العقل الكلى وهو الحد الأول الذى أبدعه المعبود من نوره ، ويطلقون عليه أيضا ذومعه ، وعلة العلل والآمر قائم الزمان ، والإرادة ، والامام الأعظم ، وهادى المستجيبين وهو حمزة بن على بن احمد .

---

[١] الحركات الباطنية ص ٢٤٣

[٢] يقول الدكتور محمد أحمد الخطيب : "هذه عادة حمزة ودعاته حينما يستشهدون بالقرآن ، لا يذكرون من القائل لأنهم لا يعترفون بأنه من عند الله سبحانه"

[٣] الحركات الباطنية ص ٢٥٨

ثانياً : النفس وهو الحد الثانى الذى أوجده العقل الكلى ويطلقون عليه أيضاً ذو مصة ، والمشيئة ، وإدريس زمانه ، وأحنوح أوانه ، وهرمس الهرامسة ، والحجة الصفية الرضية ، والشيخ المجتبى ، وهو أبو إبراهيم اسماعيل بن محمد بن حامد التميمى ، ضهر حمزة بن على .

ثالثاً : الكلمة وهو الحد الثالث ويطلقون عليه أيضا سفير القدرة ، وفخر الموحدين ، وبشير المؤمنين ، وعماد المستجيبين ، والشيخ الرضى ، وهو أبو عبد الله محمد بن وهب الفرشى .

رابعاً : السابق وهو الحد الرابع ويطلقون عليه الجناح الأيمن ، ونظام المستجيبين ، وعز الموحدين وهو أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السمرى .

خامساً : التالى وهو الحد الخامس والأخير ويطلقون عليه ايضا : الجناح الأيسر ، ولسان المؤمنين ، وسند الموحدين ، ومعدن العلوم ، والذى يقول بالأفعال الصحيحة المعلومة ، والناصح لكافة الخلق أجمعين ، وهو الشيخ المقتنى بهاء الدين أبو الحسن على بن أحمد السموقى المعروف (بالضيف) [١] .

وقد جعل حمزة لمرتبة العقل سبعين حجة (أو درجة) هم حدود الإمامة والتوحيد ، وهم سبعون درجة موزعين ومنظمين حسب الشكل التالي :

١- النفس الكلية وله اثنا عشر حجة فى الجزائر ، وسبعة دعاة للأقاليم.
٢- الكلمة وله اثنا عشر حجة وسبعة دعاة .
٣- السابق وله اثنا عشر حجة فقط .
٤- التالي وله اثنا عشر حجة فقط.
٥- الداعى المطلق وله مأذون واحد ومكالبان (أو مكاسران) .

وعن هؤلاء الحدود السبعين تفرعت الحدود جميعا بين دعاة ومأذونين ومكاسرين . وجميع الحدود الحرم منهم (الحرم هم الأربعة الذين يتلون العقل الكلى) وغير الحرم كلهم من قبل العقل الكلى يسقط منهم من يريد ويرفع درجة من يشاء .

---

[١] الحركات الباطنية ص ٢٥٤

والحدود السبعون هم الذين ذكروا فى القرآن الكريم على ما أوله حمزة بن على بالآية الكريمة السابق ذكرها من سورة الحاقة ((ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه)) أى ان ميثاق قائم الزمان حمزة بن على الذى هو سلسلة بعضها فى بعض وهم سبعون رجلا فى دعوة التوحيد فمثل حمزة حدوده بالسلسلة لأن دعوتهم منتظمة بعضها ببعض [١] .

كما تأول الدروز ((بسم الله الرحمن الرحيم)) تأويلاً هو نفس تأويل الفاطميين تقريباً ، فقالوا إن ((بسم الله)) سبعة أحرف دليل على سبعة دعاة أصحاب الأقاليم السبعة ، و ((الرحمن الرحيم)) اثنا عشر حرفا دليل على اثنى عشر دعاة الجزائر [٢] .

وهذا التأويل مرتبط بتقسيم الإسماعيلية الأرض إلي عدة جزر ، وكل جزيرة تحتوى عدة أقاليم ، فالحجة مسئول عن الجزيرة ، والداعية عن الإقليم ، وقد أخذ حمزة ذلك عن الإسماعيليين .

ويعتقد الدروز أن حمزة ظهر فى الأدوار الكبرى والأدوار الصغرى بأسماء مختلفة فهو شطنيل فى دور آدم ، وفيثاغورث فى دور نوح ، واليعازر فى دور عيسى ، وأنه أى حمزة هو المسيح الحقيقى الحى الأبدي . والنظرية "التوحيدية" المتعلقة بدور عيسى تقول إن "الممد" لعيسى هو يسوع ، إذ أن لكل ناطق ممداً .

"ويسوع هو السيد الإمام العظيم ، صاحب البرهان والمعاجز الذى اشارت اليه الرسل . وهو الذى تبعه الحواريون إخوته الأكرمون ، صلى الله عليه وسلم ، فلما صلب عيسى ودفن اجتمع يسوع بتلاميذه ... ((وما قتلوه وماصلبوه . ولكن شبه لهم)) وهذا ترديد للآية ١٥٧ من سورة النساء وتمامها ((وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه))" [٣] . وهكذا يتأول الدروز ما ورد فى القرآن الكريم عن الأنبياء بتأويلات خاصة لإثبات عقائدهم .

وإذا تتبعنا تأويلات الدروز لآيات القرآن الكريم لصعب علينا حصرها لكثرتها وغرابتها ، وقد مر بنا تأويلهم لقول الله تعالى ((فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)) [٤] .

---

[١] محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ، ص ١١٤

[٢] محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ، ص ١١٥

[٣] عبد الله النجار ، مذهب الدروز والتوحيد ، ص ١٢٩

[٤] سورة الحديد ، جزء من الآية ١٣

تقول الرسالة ٣٦ إن الدين "الظاهر من قبله العذاب" والباطن (أى التأويل) فيه الرحمة (أى فيه مذهب التوحيد) ولم يقل هو الرحمة . وفى الشيء ما أودع فيه ، وليس هو الشيء بعينه . فدل بأن الباطل (أى التأويل) يدل على الرحمة (أي التوحيد) " [١]. وفسرت الرسالة ٣٨ هذه الآية بقولها : ((السور الشريعة والباب الأساس كما قال الناطق : أنا مدينة العلم وعلى بابها . الباطن (أى التأويل وهو باطن التنزيل) فيه الرحمة (أى "حكمة" التوحيد) دليل على أن الرحمة غير الباطن (أى أن "الحكمة" غير التأويل) ... والقائم (أى العقل) صاحب الرحمة" [٢] .

وبهذا يتحول كتاب الله الى رموز وألغاز لا يمكن ان يفهمها أو يفسرها أحد المؤمنين إلا من خلال تأويلات حمزة بن على ، فهل يمكن لمثل هذه التأويلات أن تمت إلى الإسلام بصلة ، يقول الله تعالى: ((هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب))[٣] .

فأهل الضلال هم الذين يأخذون من كتاب الله بالمتشابه الذى يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم وينزلوه عليها ابتغاء الفتنة لإضلال أتباعهم إيهاما لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن .

ولقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عنتهم الآية الكريمة : ((فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه)) ـ يعنى آيات القرآن الكريم ـ ((إبتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله)) ... إلخ ، فيما رواه الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها أنه قال: "فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله فاحذروهم" وهى رواية البخارى [٤] ، فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم [٥] .

---

[١] عبد الله النجار ، مذهب الدروز والتوحيد ، ص ٤٠

[٢] المرجع السابق

[٣] سورة آل عمران آية ٧ ، ٨

[٤] صحيح البخاري جـ ٨ ص ٣٤٣ كتاب التفسير

[٥] تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤-٦

فالإسلام دين سهل واضح لاغموض فيه ولاتعقيد ولارموز ، وقد احتج الله تعالى على العرب ، بأن القرآن عربى ، ومفهوم لهم ((إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)) . فى أول سورة يوسف و ((إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)) . فى أول الزخرف كما أفاد ذلك فى عدة مواضع ، واحتج على العرب بأنه عربى مفهوم للجميع ، وليس بأعجمى .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك المسلمين على المحجة الواضحة ، ليلها كنهارها ، فكل من حاد عن هذه السبيل ، فإنما أعرض عن الصراط المستقيم ، وتفرقت به السبل ، حتى خرج بعضهم عن طريق الإسلام .

ونصوص القرآن الكريم تفهم طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تعسف ولاتكلف ووفق ما فهمها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قال هؤلاء أو غيرهم : إن هذه المعاني الظاهرة إنما هي للعوام الجهلة من أهل السنة ، فهم لايقصدون إلا التهرب من الاحتكام للقرآن .

وقد رد بعض المؤرخين فكرة التأويل الباطنى للقرآن الذى لايعلم تأويله إلا الإمام ، إلى أصلها المجوسى الفارسى لأن الفرس اعتقدوا أن ملوكهم منحدرين من أصلاب الآلهة وأن الشاهنشاه إنما هو تجسيد الإله ، فابتدع الغلاة فكرة التأويل وجعلوها خاصة بالإمام الذى تجب طاعته وبالوحى من بعده ولو كان فارسيا بهدف تقريب الإسلام من المجوسية [١] .

---

[١] دراسات في الفرق والمذاهب ص ٤٨

الدرزية كمذهب ينتسب إلى الإسلام

الأمير شكيب أرسلان يثبت أن فرقة الدروز فرقة إسلامية ـ كما مر بنا ـ فى كل شئ وهى أشبه بالفرق الصوفية التى لها تعاليمها الخاصة ولها تأويلاتها الخاصة .

والدروز يعتقدون انهم فى طليعة المسلمين الأولين ، يقول عبد الله النجار: "ان هذا المذهب متفرع من الإسلام ، والإسلام من حيث انحصاره فى القرآن ، وعدم خروجه عنه ، هو مدار المذهب الذى يفسر آياته على طريقته الخاصة . فهو ليس ديانة ، وكتبه تسمى الحكمة ، مما يدل على مصدرها الفلسفى . الحافل بالنقد والتفسير والتحليل والدحض والإثبات والتأويل" [١] . ويؤكد الأستاذ عبد الله النجار أن الدروز مسلمون لأنهم يتمسكون (بالتوحيد) الذى هو صلب الإسلام ، وهو أيضا صلب جميع فرقه ، أما الإختلافات فى أشكال العبادة ، وفى فهمها وتفسيرها ، وألوان ممارستها فهذا لايخرج الفرقة من الدين ، لأن الإنتقال من دين إلى آخر لايكون الا بالإنتقال من اعتقاد الى اعتقاد آخر فى جوهر المعبود كالانتقال عن عبادة الأصنام ، الى عبادة آلهة عديدة الى إله مركب ، الى إله واحد ، وهو التوحيد [٢] . والباحث المدقق يظهر له بجلاء أن الدروز وإن قالوا أن عقيدتهم تقوم على التوحيد ، فإنما يعنون توحيداً خاصاً بمذهبهم ، وإن قالوا أنهم يتجهون الى إله واحد فانهم يعنون رباً آخراً غير رب العالمين الذى يتجه نحوه المسلمون بالتوحيد . أما قولهم أن مذهبهم منحصر فى القرآن ، وعدم الخروج عليه والمذهب يفسر آيات القرآن تفسيرا باطنيا خاصا ، فقد رأينا كيف يذهب هذا التفسير الباطنى بالمعنى بعيدا عما يؤمن به غالبية المسلمين . ولكن مادام الدروز حريصين على الإنتساب الى الإسلام فقد يكون مطلوب منهم ان يوضحوا موقفهم من شريعة الإسلام وأركانه ، ولما كان القرآن ـ الذى يعتبرونه مدار مذهبهم ـ قد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو رسول الله ، فقد يكون مطلوب منهم أيضا أن يوضحوا صلة مذهبهم بالرسول الكريم .

وعلى الصفحات التالية نتعرض للبحث عن موقف الدروز من أركان الإسلام وكتبهم المقدسة ، وموقفهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خلال ما كتبه الدروز وما كتب عنهم قديما وحديثا ، وذلك لبيان مقدار ارتباط المذهب بالإسلام .

---

[١] ، [٢] مذهب الدروز والتوحيد ص ١٦ ، ١٧

موقف الدروز من أركان الإسلام

لقد فرض حمزة على أتباعه سبع فرائض توحيدية ، تُغنى عن الصلاة والصوم والزكاة والحج و الجهاد . يقول حمزة فى أحد رسائله: "... إن مولانا جل ذكره قد أسقط عنهن السبع دعائم التكليفية الناموسية ، وفرض عليهم سبع خصال توحيدية دينية [١]

أولـهـــا : وأعظمها سدق [٢] اللسـان .

وثانيهـــا : حفظ الإخوان .

وثالثهـــا : ترك عبادة العدم والبهتان .

ورابعهـا : البراءة من الأبالسة والطغيان .

وخامسها : توحيد المولى جل ذكره فى كل عصر وزمان .

وسادسها : الرضىٰ بفعله كيفما كان .

وسابعها : التسليم لأمره فى السر والحدثان " [٣] .

وهذه الفرائض السبع التى فرضها حمزة هى عوض عن أركان الإسلام الخمسة بالإضافة الى الى الجهاد والولاية [٤] .

وفى رسالة لحمزة بعنوان (الكتاب المعروف بالنقد الخفى) يحاول فيها حمزة أن أعمال الحاكم قد بينت وأظهرت نسخ الشريعة وأركان الإسلام ، وفيها يحاول أن يهدم الشهادتين وهما أول أركان الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) حيث يبين أن الجملتين دليل على السابق والتالى ، ثم يزعم أن هذا الركن ليس كما يفهمه المسلمون ويؤمنون به [٥] .

ويلخص الدكتور محمد أحمد الخطيب ما ورد فى رسالة حمزة بما يلى:

١- الشهادتان تدلان على عبادة الحاكم ، وعلى حدود الدروز ولاتدلان على ما يقصده أهل السنة ، ولا الإسماعيلية .

٢- وأن الصلاة هى صلة القلوب بعبادة الحاكم .

---

[١] الحركات الباطنية ص ٢٧٦

[٢] الدروز لا ينطقون كلمة الصدق بالصاد لحساب الجمل ...

[٣] مذهب الدروز والتوحيد ص ١٤٨

[٤] هي من فرائض الشيعة ويقصدون بها ولاية الإمام

[٥] الحركات الباطنية ص ٢٧٨

obeikandl.com

٣- وأما الزكاه فهى عبادة الحاكم ، وتزكية النفس .

٤- والصوم صيانة قلوبهم بتوحيد مولاهم .

٥- والحج هو توحيد الحاكم .

٦- والجهاد هو السعى فى توحيد الحاكم ومعرفته [١] .

ويؤكد الأستاذ عبد الله النجار (إن مذهب التوحيد يوصى بممارسة الفرائض القرآنية) . واثباتا لقوله يقتطف من الرسالة ١٥ مايلى : "ليس كل من عرف باطن شئ وجب عليه ترك ظاهره وفي الأشياء مالايجب ترك ظاهره . ولو علم تأويله على سبعين وجها . منها الطهارة وباطنها البراءة من الأبالسة ، وطهارة القلوب من محبتهم . فلا يجوز لأحد ، ولايستحسن العاقل إذا عرف باطن الطهارة ، أن يدخل الخلاء ويخرج ولايغسل ، ويقول أنه قد عرف . فإذا ترك ظاهرها يتوسخ ، ويقع عليه اسم النجاسة ، بل يجب على من عرف الباطن أن يزيد فى طهره ونظافة بدنه [٢] . كما يؤكد الأستاذ عبد الله النجار أن حمزة كان يوصى اتباعه بالتجاوب مع اهل السنة فى اقامة الفرائض الدينية فينقل عن الرسالة ٣١ قول حمزة : "... واجمع شمل الموحدين ، وكن لهم فى نفاسهم ، وأعراسهم ، وجنائزهم ، على السنة ". كما ينقل عنه قوله فى الرسالة ٣٣ ((صونوا الحكمة عن غير أهلها ... واستتروا بالمألوف عند أهله .. فانتم ترونهم من حيث لايرونكم ... إلخ " . كل هذه الشواهد يسوقها الأستاذ النجار ليرد بها على مكفرى المذهب ، وفى معرض دفاعه عن تأويلات الدروز للقرآن الكريم يستشهد بكلام الإمام الشيخ محمد عبده : " إذا تعارض العقل والنقل ، أخذ بما دل عليه العقل ، وبقى فى النقل طريقان : طريق التسليم بصحة المنقول مع الإعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الأمز الى الله فى علمه . والطريق الثانية تأويل النقل ، مع المحافظة على قوانين اللغة ، حتى يتفق معناه مع ماأثبته العقل ... وإذا صدر قول يحتمل الكفر من مائة وجه ، ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ، ولايجوز حمله على الكفر" . ثم يغلق على هذا النص بقوله ان فى هذا القول المبين ايماء الى رحابة الإسلام وتسامحه ، الذين انطلقت منهما التأويلات الباطنية ، ونظريات غلاة الصوفية وتعددت المذاهب الاسلامية ، ومنها مذهب الموحدين [٣] .

---

[١] الحركات الباطنية ص ٢٨٠

[٢] ، [٣] مذهب الدروز والتوحيد ص ١٤٨ ، ١٥٠

وعلى الرغم مما ذكره الأستاذ النجار من وصايا حمزة لأتباعه باقامة الشريعة مع أهلها ، (واللطف بهم) ، على سبيل التقية ، إلا أن الدكتور مصطفى الشكعة يذكر فى كتابه إسلام بلا مذاهب أنه لما قامت الفتنة الكبرى فى لبنان بين الدروز والموارنة سنه ١٨٦٠م ، "بدأت آخر دلالة شعائرية بالإنقراض ، ونعنى بها شعائر الصلاة فى المساجد الكثيرة التى كانت منتشرة فى القرى الدرزية ، ولجأ الدروز ، بعد ذلك الى الخلوات يقرأون بها رسائلهم وتركوا المساجد نهائيا" [١] . وقد اعترف شيخ عقل الدروز الشيخ محمد أبو شقرا أخيراً فى حديث شخصى للدكتور مصطفى الشكعة بأن صلاة الدروز تختلف عن صلاة جمهور المسلمين ، فالفروض وإن كانت خمسة ، إلا أن عدد الركعات فى كل صلاة يختلف عن عدد الركعات المعروفة ، وربما طريقة الصلاة نفسها. هذا والوضوء ليس ضروريا مادام المصلى نظيفا...

ويستمر الشيخ فى حديثه للدكتور مصطفى فيقرر: "الصوم معناه الإمتناع عن الرفث . ويجوز فيه الأكل والشرب ، وهو عشرة أيام من ذى الحجة ، تنتهى بالعيد. !! ، والزكاه معطلة ولاحدود لها. وهى لست فريضة والحج لايعتبر فرضا ، ولايؤمنون بمناسك الحج بل ويسفهونها ، ويرون فيها مظاهر وثنية . مصدر التشريع عندهم القرآن وحده ليس غير !! وأحيانا بعض الإجتهادات . أما الحديث فمعطل ولايؤمنون بمناسك ولايؤخذ به !! ولا يجوز زواج الدرزية من غير الدرزى ، ولا زواج الدرزي من غير الدرزية ، وإلا كان باطلاً ، ولايجوز تعدد الزوجات" [٢] .

وهكذا فإن شريعة الدروز قديماً وحديثاً تتلخص فى إسقاط الفرائض الدينية التكليفية وعدم إقامة الفرائض الإسلامية ، والإعتراف بالخصال التوحيدية فمن إعترف بها فهو من "الموحدين".

موقف الدروز من رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم

يقول الأمير شكيب أن الدروز يلقنون موتاهم أن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فما مكانة محمد صلى الله عليه وسلم فى العقيدة الدرزية ؟ ، وهل هى نفس المكانة التى يرفعه إليها سائر المسلمين ؟ .

---

[١] مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، ص ٢٠٨

[٢] الشيعة – المهدي الدروز / د. عبد المنعم النمر ص ٢٥٦

فى كتاب (إسلام بلا مذاهب) ومن خلال حوار مع الزعيم السياسي الدرزى كمال جنبلاط ، ذكر الدكتور مصطفى الشكعة على لسان الزعيم الدرزى قوله: "ومحمد له مكانة محدودة" وهوليس إلا واسطة الرسالة [١] . وكلام جنبلاط عن "محمد" صلى الله عليه وسلم ومكانته المحدودة فى شريعتهم ، يعنى تأثره بما جاء فى احدى رسائل حمزة التى ينتقص فيها من رسالة "محمد" ، ويثبت لنفسه رسالة تفوقها فيقول: "وأنتم تعلمون أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أربعمائة سنة وعشر سنين (لما كان حمزة موجوداً) ، لم يظهر دينه على الأديان كلها ، واليهود والنصارى أكثر من المسلمين ، والهند والسند والزنج أكثر منهم. فلو كان الرسول محمد له أديان هؤلاء (النطقاء) لكان يجب ان يكون المسلمين أكثر العالمين وأغلبهم فى الأولين والآخرين ، فلمالم يصح للمسلمين ذلك علمنا بأن الرسول الحقيقى ، هو عبد مولانا جل ذكره ، وهاديا إليه ، وإماما على أمره لعبيده" [٢] .

والملاحظ أن حمزة يشير الى الأنبياء بكلمة (النطقاء) وهو مصطلح شيعى ، فالناطق يقصدون به كل نبى والأساس الوصى . أما عند الدروز فالناطق والأساس هما ابليس والشيطان ، "فالأول – أى ابليس – ظهر فى جسم آدم ثم انتقل الى نوح ، ثم إلى إبراهيم ، ثم إلى موسى ، ثم إلى عيسى ، ثم إلى محمد ، ثم إلى سعيد ! وأما الثانى – الشيطان – فظهر أولا فى جسم شيت بن آدم ثم فى سام ، ثم فى اسماعيل ، ثم فى يشوع بن نون بعدها هارون ، ثم شمعون الصفا ، ثم فى على بن أبى طالب ، ثم فى قداح" [٣] .

ويعتقد الدروز أيضاً ، أن القرآن قد أوحى حقيقة الى سلمان الفارسى – أي حمزة بن علي ، لأنهم يعتقدون أن حمزة ظهر بالتناسخ بعدة ظهورات منها بصورة سلمان الفارسي – وأنه كلامه ، وأن محمداً أخذه وتلقاه عنه ، ثم هم يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم طمس الرسالة ولم يبلغها ، حتى زعموا أن خطاب لقمان الذى خاطب به ولده : "يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر" [٤] هو خطاب سلمان لمحمد صلى الله عليه وسلم [٥] .

---

[١] إسلام بلا مذاهب ص ٢٨٨

[٢] الشيعة – المهدي الدروز / د. عبد المنعم النمر ص ٢٥٩

[٣] الحركات الباطنية ص ٣٠٢

[٤] سورة لقمان آية ١٧

[٥] الحركات الباطنية ص ٣٠٣

وبعد هذا التصوير الذى لايرضاه أى مسلم ، مهما كان انتماؤه المذهبى للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، نجد الدروز يتجاوزون ذلك إلى صحابة الرسول ايضا فيطلقون عليهم أشنع الأوصاف القبيحة والشتائم ، فيصفون أبا بكر وعمر بأنهما الفحشاء والمنكر ويؤولون الآية الكريمة " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان" بأن المراد بها الخلفاء الراشدين الأربعة ، لأنهم من عمل محمد بن عبد الله [١] .

موقف الدروز من القرآن الكريم

على الرغم من تأكيدات شيوخ وعلماء الدروز أن القرآن وحده هو مصدر التشريع عندهم (حسب تأويلهم) إلا ان للدروز كتبا أخرى سرية تعد هى المصدر الرئيسى لمذهب الدروز. وقد ظهر حديثاً أن للدروز مصحفا يسمونه: (مصحف المنفرد بذاته). يقول الدكتور محمد أحمد الخطيب عنه : [٢] " يعتقد أن كاتبه هو الأستاذ كمال جنبلاط الزعيم اللبنانى المعروف والذى أغتيل قبل عدة سنوات، ويقال أنه تعاون فى وضعه ووضع رسائل آخرى ، مع عاطف العجمى ، وبخط الشيخ عبد الخالق أبى صالح " ثم قال : "ويتألف هذا المصحف من أربعة وأربعين عرفا ، يحاكى فيه كاتبه القرآن الكريم بترديد ما فى رسائل الدروز القديمة ، فيحاول أن يقلد أسلوب القرآن الكريم ويقتبس منه تارة ويضمن كلامه بعض آيات القرآن الكريم تارة أخرى ، خاصة آيات النعيم والعذاب ، حيث جعلها خاصة بمن يعبد الإله المعبود عندهم – الحاكم – فمن عبده فله النعيم ، ومن كفر به فقد حق عليه العذاب ، ويعلق أحد كبارهم (عاطف العجمى) على هذا المصحف بقوله : "يكاد يفوق القرآن بلاغة" [٣] . وبينما يؤكد شيوخ الدروز (ومنهم شيخ العقل الشيخ محمد أبو شقرا) أن الشريعة مستمدة من القرآن.. نرى مصحفهم المنفرد بذاته ينكر القرآن ويعتبره فرية فيقول: "لقد ضل الذين جحدوا الحكمة واتبعوا فرية صحف اكتتبوها فهى قبلة آبائهم ، يتلونها بكرة وعشيا ، وقالوا هذامن عندالله المعبود"وفيه: "إن مافىأيديكم لباطل وبهتان عظيم افتريتموه أنتم وآباؤكم " [٤]

---

[١] مخطوطة في تقسيم جبل لبنان عن الحركات الباطنية ص ٣٠٤

[٢] ص ٣١٤ / الحركات الباطنية / د. الخطيب نقلاً عن كتاب " أيها الدرزي عودة إلى عرينك " ص ٤٩ لمؤلف مجهول

[٣] المصدر السابق ص ٥٢

[٤] (عرف عاقبة المكذبين) ص ٢٤ ، ٢٤٢

وفى هذا المصحف المنفرد بذاته ، وصف المسلمين بالضلالة والشرك: "لقد ضل قوم اتجهوا بأجسادهم الى بيت حجارة قلوبهم ، وغلوا فى كفرهم ، فألبس عليهم كل يوم خمس صلوات وضلوا عن نهج صاحب البيت ، جل ذكره ، وهو معهم ... إلخ" [١] .

وقد ضمن الدكتور عبد المنعم النمر كتابه (الشيعة ـ المهدى ـ الدروز ـ حقائق ووثائق) بعض صور الأصل من هذا المصحف وفهرسا لما جاء فيه من (أعراف) . ومن الكتب التى وضعها جنبلاط مع العجمى هذا أيضا ، رسائل بعنوان (الصحف الموسومة بالشريعة الروحانية فى علوم البسيط والكثيف) وهى تشبه المصحف المنفرد بذاته ويتكون من خمسة رسائل [٢] . ويبدو أن العقيدة الدرزية ظلت جامدة على أصولها التى وضعها حمزة وبهاء الدين إلى أن ظهر الزعيم الدرزى كمال جنبلاط والذى حاول ان يطور دينه بكافة الطرق ، فحاول ان يرجع أصول مذهبه الى مسالك الحكمة في التاريخ القديم من الفلسفة اليونانية وخاصة الأفلاطونية القديمة ، والمسيحية ، والبوذية ، والفرعونية ، والهندية ، والفارسية ، واليهودية ، إلى جانب الإسلام. لأن الحكمة فى نظره لاتختلف فى جوهرها ، لهذا قام بكتابة مصحفه المنفرد بذاته ليعزز وجهه نظره . ويتكون مصحف المنفرد بذاته من مائتين وست وسبعين صفحة بالبيانات التى ذكرت فى آخره بعد صفحة ٢٦٩ ... يشتمل على ثلاثة وأربعين عرفا – باعتبار عرف العهد والميثاق عرفا واحدا – أولها عرف الفتح ، وآخرها "بلاغ الحرمات . وعرف مسك الختام" [٣] . والأعراف كلها تدور حول الدعوة للإيمان بالحاكم ، وتدعيم النظرة إليه ، كإله معبود ، يتصرف فى الخلق كما يشاء ، فيغدق النعيم على المؤمنين به ، ويعذب الذين لايؤمنون ! وقد اقتبس – كاتبه – كثيرا من آيات القرآن ، إما بنصها أو بتغيير فيها حسب مزاجه ، لتنصب على الذين لايؤمنون بالحاكم معبودا لهم ، أو يؤمنون به [٤] .

وما يهمنا من (مصحف المنفرد بذاته) هذا أنه يظهر بوضوح موقف الدروز المعاصرين من القرآن الكريم ومن المسلمين أجمعين ، فيدمغهم جميعا بأنهم عاكفون على عبادة الأصنام وضالون ، ويستنكر عليهم تصديقهم للقرآن الكريم وماجاء فيه من وعد للمؤمنين بالنعيم ، ووصف لهذا النعيم .

---

[١] الشيعة – المهدي الدروز / د. عبد المنعم النمر ص ٢٥٧

[٢]

[٣] ، [٤] الشيعة – المهدي الدروز / د. عبد المنعم النمر ص ٢٦٣ ، ٢٦٦

جاء فى عرف اسحق ص ٧٩ : "ضل الذين قالوا : إنا الى ربنا منقلبون ، وسيدخلنا الجنة التى وعدنا فيها ما لعين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ، وسيطوف فيها علينا ولدان مخلدون ، بأكواب وأبارق ، وكأس من معين ، لانصدع عنها ، ولا نحن بمنزفين ، ولحم طير مما يشتهون ثم حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ولانريد أن نعيد عليك يا أبا اسحق قالتهم ، وما فى أنفسهم من هذه الأدمة التى أوصلتهم بحبل آدمهم" ثم يقول بعد هذا مباشرة " قتل هؤلاء ما أصبرهم على نار جهنم ، وجحيم كبريائهم" [١] .

والواضح بعد هذا أن عقلاء الدروز ومشايخهم قد حرصوا دائما على صرف الدروز – وبخاصة عامتهم وجهلائهم – عن فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً ، وعملوا على حجبهم عن احكامه ، وقدسلكوا لبلوغ غايتهم هذه مسلكين : **المسلك الأول** هو تأويل النصوص القرآنية تأويلا باطنيا خاصا يخرجه من باطن التأويل ، وهذا مسلك حمزة بن على وبهاء الدين ومن تبعهم . أما **المسلك الثانى** فهو ما سلكه جنبلاط ومن معه بوضعهم كتابا يبطل العمل بالقرآن الكريم ، بل ينكره ويعتبره فرية وبهتان عظيم . والهدف من الأسلوبين واحد ، وهو الإبتعاد بأتباع مذهبهم عن المصدر الرئيسى والأساسي الذى يقوم عليه بناء الإسلام الحق ، وهو القرآن الكريم .

---

[١] الشيعة – المهدي الدروز / د. عبد المنعم النمر ص ٢٦٦

obeikandl.com

حكم علماء الإسلام فى الدروز

وبعد البحث فى موقف الدروز من أركان الاسلام ، ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتابه القرآن الكريم ، يخرج البحث بنتيجة لامفر من اقرارها وهى ان هذا المذهب لاصلة له بالاسلام والمسلمين ، وهى نتيجة معروفة لدى علماء الاسلام قديما وحديثا ، وان غابت عن عامة المسلمين.

ولقد ذكرهم شيخ الاسلام ابن تيمية هم والنصيرية فى جواب سائل سأله : "والدرزية هم أتباع هشتكين الدرزى ، وكان من موالى الحاكم أرسله الى اهل وادى تيم الله بن ثعلبة ، فدعاهم الى إلاهية الحاكم ويسمونه البارى العلام ، ويحلفون به ، وهم من الاسماعيلية القائلين بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله ، وهم أعظم كفرا من الغالية ، يقولون بقدم العالم ، وانكار المعاد ، وانكار واجبات الاسلام ومحرماته ، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركى العرب ، وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله ، أومجوسا . وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس . ويظهرون التشيع نفاقا ، والله أعلم" [١] . " فقال شيخ الاسلام ردا عليه : كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون ، بل من شك فى كفرهم فهو كافر مثلهم لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين ، بل هم الكفرة لضالون فلا يباح أكل طعامهم ، وتسبى نساؤهم ، وتؤخذ أموالهم فانهم زنادقة مرتدين لا تقبل توبتهم ، بل يقتلون أينما ثقفوا ويلعنون كما وصفوا ، ولايجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ . ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيرهم ، ويحرم النوم معهم فى بيوتهم ، ورفقتهم ، والمشى معهم ، وتشييع جنائزهم اذا علم موتها . ويحرم على ولاة أمور المسلمين إضاعة ماأمر الله من إقامة الحدود عليهم بأى شئ يراه المقيم ولا المقام عليه" [٢] .

ويضيف رحمه الله قائلا : ((ولايجوز دفنهم في مقابر المسلمين ، ولايصلى علي من مات منهم . أما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فانه من الكبائر ، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم .

---

[١] الشيعة والتشيع / إحسان إلهي ظهير ص ٢٣٨

[٢] المرجع السابق عن فتاوى شيخ الإسلام جـ ٣٥ ص ١٦١ - ١٦٢

وإذا أظهروا التوبة ففى قبولها منهم نزاع بين العلماء فمن قبل توبتهم اذا التزموا بشريعة الاسلام اقر أموالهم عليهم ومن لم يقبلها لم تنقل الي ورثتهم من جنسهم ، فان مالهم يكون فيئاً لبيت المال ، لكن هؤلاء اذا أخذوا فانهم يظهروت التوبة ، لأن أصل مذهبهم التقية وكتمان أمرهم ، وفيهم من يعرف ، وفيهم من قد لايعرف ، فالطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم ، فلا يتركون مجتمعين ولا يمكنون من حمل السلاح ، ولا أن يكونوا من المقاتلة ويلزمون في شرائع الاسلام .... ويجب علي كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب مايقدر عليه من الواجب ، فلا يحل لأحد أن يكتم مايعرفه من اخبارهم ، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم ....

والمعاون في كف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان له من الأجر والثواب مالايعلمه الا الله تعالي ، فان المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم)) [١] .

بقى أن نقول أن دروز اليوم ثلاثة أصناف :

١- قسم الزعماء السياسين والروحانين : هؤلاء متمسكون بديانتهم تمسكهم بمصالحهم فكلما تمكن أفراد الطائفة من دينهم ، داتوا بألولاء والطاعة العمياء لرؤسائهم فهم يحافظون علي الدين حفاظا علي مراكزهم ومكاسبهم .

٢- وعامة الطائفة وجدوا آباءهم علي ملة وهم علي آثارهم مقتدون فهم عناصر طيعة بيد الرؤساء لايعملون فكرهم في صلاح عقيدتهم أو سلامتهم بل يأخذون من شيخ العقل الذى أخذ عن أسيادهم المعصومين .

٣- أما القسم الثالث وهم المتقفون : جلهم لايؤمنون بعقائد الطائفة لأنها مرفوضة بمنطق العقل السليم لذلك نراهم بعيدين عنها دون أن يتعرضوا لها بسوء حفاظا علي ترابط أفراد الطائفة وقد التزم الكثيرون منهم الأحزاب القومية والسياسية [٢] .

وعلي عاتق هذا القسم الثالث من المتقفين تقع مسئولية اعادة نشر الاسلام بين صفوف الدروز . كما ينبغي أن يحال بين العوام منهم ، وبين مشايخهم الذين مازالوا يصرون علي تلك الضلالات المهينة للعقل الانسانى ، وهذا ماطالب به الشيخ محمد رشيد رضا في أحد فتاويه التى سئل عنها [٣] .

---

[١] الحركات الباطنية ص ٣١٦ عن فتاوى شيخ الإسلام إبن تيمية جـ ٣٥ ص ١٥٥ - ١٦٢

[٢] دراسات في الفرق والمذاهب ص ١٦٢ / عبد الله الأمين

[٣] فتاوى الإمام محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٦

نقد موقف الأمير شكيب أرسلان من الدروز

إن القارىء لمقال الأمير شكيب أرسلان عن الدروز والذى جعل عنوانه :

((ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً)) يشعر أن الأمير ينطلق في دفاعه عن إسلام الدروز إنطلاقاً عاطفياً ، وهذه النظرة العاطفية التي تناول بها الأمير موضوع مقاله غلبت علي النظرة العلمية الموضوعية التي كان ينبغي عليه أن يلتزمها في مناقشة رأى القائلين بكفر الدروز وخروجهم عن جملة المسلمين .

فمع تأكيد الأمير أن الدروز يقولون عن أنفسهم أنهم مسلمون ويؤدون شعائر الاسلام لم يأت بدليل واحد يؤيد به صحة قوله ، فالمعروف عن الدروز أنهم هجروا المساجد ولجأوا الي الخلوات .

ثم يقول أن الدروز يلقنون موتاهم (واذا جاء منكر ونكير وسألاك : مادينك ، ومن نبيك ، وما كتابك ، ومن اخوانك ، وماقبلتك ؟ فقل لهما : الاسلام دينى ، وحمد نبي ، والقرآن كتابي ، والكعبة قبلتي ، والمسلمون اخوتي .

والملاحظ علي النص السابق أن الأمير لم يشر فيه إلى السؤال الأهم وهو من ربك ، فان أجاب المسؤول ربي الله الذي لااله الا هو ، فهو في جملة المسلمين حقا ، أما ان أجاب بأن ربه الحاكم بأمر الله فهو خارج من الاسلام باجماع المسلمين مهما صلي وصام وزعم أنه من المسلمين .

. أما قول الأمير شكيب ردا علي من قال أن عقائد الدروز السرية الباطنية التي تعرفها طبقة العقال تحتوى علي مايصادم أركان عقيدة أهل السنة والجماعة ولا يتفق معها في شيء بقوله : قد وجد في الاسلام أئمه كبار يترضي عند ذكرهم ، ولهم قباب تزار وتعلق فيها القناديل ، وكانوا يقولون بوحدة الوجود ، ثم يبين أن قولهم هذا مع مخالفته لمذهب السنة لم يخرجهم المسلمون من الاسلام ، ففي هذا القول اعتراف بأن عقائد الدروز الباطنية تحتوى علي مايخالف عقيدة أهل السنة " ولايتفق معها في شيء" ، وان اعترض الأمير أن يترتب علي ذلك الحكم على الدروز بالخروج من الاسلام !

فالأمير شكيب أرسلان يريد أن يثبت أن فرقة الدروز فرقة اسلامية وهى أشبه بالفرق الصوفية التى لها تعاليمها الخاصة ولها تأويلاتها الخاصة،ومع هذا فهي من جملة المسلمين .

ولقد كان الأمير شكيب – رحمه الله – من أعظم رجال العرب والمسلمين ، دفاعا عن العروبة والاسلام ، وحرصا علي تماسك الأمة فلا غرابة من حماسه في الدفاع عن الدروز ، وحرصه علي أن يظلوا عربا مسلمين ، وهم قومه الذين يفخر بانتسابه اليهم لانتسابهم الي قبائل عربية عظيمة ، ولتاريخهم الحافل في مناصرة الاسلام والمسلمين .

والأمير شكيب يرى في التمسك بالانساب أمرا محمودا ، فهو ضرورى لآجل الدول الراقية المهذبة التى تريد أن تعرف أصول الشعوب التي اشتملت عليها ممالكها ، والخصائص التى عرف بها كل من هذه الشعوب بما يكون أعون لها علي تهذيبها وحسن ادارتها [١] .

ويرى الأمير شكيب أن حفظ الانساب أمر ضرورى لمن يسعي في اصلاح قومه أو نوعه بطريق الترقية والتهذيب لآن الأخلاق والميول والنزعات المختلفة تتوارث كما تتوارث الأمراض و الأعراض الصحية ، والدماء الجارية [٢] .

ويتحدث عن تمسك العرب بالأنساب في تعليقاته علي كتاب تاريخ ابن خلدون فيرى أن تمسكهم بأنسابهم كان يثير فيهم حمية ونخوة وتنافس علي المجد من جهة ، وفتن وعداوات تصدع وحدتهم من جهة أخرى ، ويقرر أن الاعتزاز بالنسب اذا لم يؤد الي الانقسام عمل كريم وسنة حميدة [٣] .

ولقد عنى شكيب في كتاب (روض الشقيق) وغيره بالحديث عن اسرته ونسبها ومفاخرها ، فليس غريب أن يقف مدافعا عن نسبتها العربية ، وعن بقائها في الاسلام .

ومن أهم مايحمد في مقال الأمير حرصه الشديد علي إسلام قومه ، وعدم رضاه بغيره بديلا ، وقوله أن الدروز فرقة إسلامية قبل كل شيء وهو في ذلك مثله مثل الأمير عبد الله التنوخي الملقب بالسيد المتوفي سنة ٨٨٤ هـ بمدينة عبية ، وكان من الذين عملوا علي العودة بالدروز الي مذهب أهل الجماعة والسنة [٤] ومثل عادل بك النكدى الذى قال في خطبة له حينما حاول الفرنسيون التفريق بين الدروز والمسلمين : " ان الدروز مسلمون كانوا ولايزالون وأنهم لولم يكونوا كذلك لصيرتهم عربيتهم مسلمين " .

---

[١] تاريخ ابن خلدون ، ملحق الجزء الاول ص ٣

[٢] نفسه ص ٣-٤

[٣] شكيب أرسلان داعية العروبة ، أحمد الشرباصى ص ١٥

[٤] طائفة الدروز ، محمد كامل حسين ص ١٢٧

ولكن يبدوا أن جهود الأمير شكيب أرسلان وغيره ممن حرصوا علي الا يقطع الدروز صلتهم باخوانهم المسلمين وحاولوا أن يدفعوا عن الدروز تهمة الانسلاخ من الاسلام يبدوا أن جهودهم هذه قد تبددت بعدما ظهر في العصر الحديث من بين الدروز زعماء ابتعدوا بالفكر الدرزى عن الاسلام بعدا شاسعا ، فهذا الزعيم الدرزى كمال جنبلاط (وله احترامه واجتهاده بين رجال الدين وأراؤه مسموعة بينهم) يقول في حديث مع الدكتور مصطفي الشكعة وهو مدون في كتاب (اسلام بلا مذاهب) : ان الدروز اعتنقوا الاسلام في مرحلة من مراحل عقيدتهم ولما كانت العقيدة متطورة عندهم فقد تحولوا عن الاسلام الي دين آخر مستقل هو (الدين الدرزى) [١] اهـ .

---

[١] الشيعة ، المهدى ، الدروز ، عبد المنعم النمر ص ٢٨٢-٢٨٣.

موقف الأمير من المعتزلة والأشاعرة

١- فرقة المعتزلة

يعرض الأمير شكيب فى تعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامى ، للمستشرق ستودارد ، مذهب فرقة المعتزلة ، وهى الفرقة التى يرى فيها علماء أوروبا دائما طبقة تمثل الفكر الحر المطلق ، وتريد أن تتملص من قيود التقليد الباعث الى الجمود الذى رسا عليه المجتمع الاسلامى [١] .

وفى البداية يروى الأمير ما قيل فى سبب تسميتهم بالمعتزلة أن أحد أئمتهم واصل بن عطاء كان يقرأ على الحسن البصرى ، ثم اعتزله لمسئلة خالفه فيها ، أما المعتزلة فيطلقون على انفسهم "أهل التوحيد والعدل" ثم يفصل ذلك فيقول: " أما التوحيد فلأنهم نفوا عن الله تعالى الصفات القديمة كالحياه ، والعلم ، والإرادة ، والقدرة ، ثم قالوا إنه حى بذاته ، عالم بذاته ، مريد بذاته ، قادر بذاته ، ولم يقولوا كالأشاعرة وغيرهم حى بحياه ، عالم بعلم ، قادر بقدرة ، مريد بإرادة ، بحيث أن الصفة هى غير الموصوف" [٢] .

" أما العدل فلكونهم يقولون إن العبد إنما يثاب ويعاقب على طاعته ومعصيته ، لأنه هو الخالق لأفعال نفسه [٣] دون الله تعالى الذى ينزه عن أن يضاف إليه خلق الشر" [٤] .

" وإذا كان العبد بحسب قولهم هو الخالق لأفعال نفسه ، فليس يلزم أن يكون هناك قدر سابق ، بل الأمر أنف ، يعنى مستأنف . ولهذا سماهم الناس (القدرية)" [٥] .

والأمير فى موقفه هذا يعبر عما كتبه خصوم المعتزلة عنهم ، أما المعتزلة أنفسهم "فلم ينكروا قضاء الله السابق بالمعنى الذى عبر عنه القرآن بقوله: ((وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين)) ، ولكن جميعهم أنكر أن يكون قضاء الله بهذا المعنى يحمل معنى الجبر أو

---

[١] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، جـ٤ ص ٣٢٣

[٢] المرجع السابق جـ٤ ص ٣٢٣

[٣] إن المعتزلة اذا قالوا إن الانسان خالق افعاله فلايعنون بالخلق هنا معنى الإبداع من العدم ، لأن ذلك لله وحده ، وهم قد فصلوا بين خلق الجوهر فجعلوه لله ، وبين خلق العرض فجعلوه من مقدور الإنسان ...د. محمد السيد الجليند ، قضية الخير والشر ، ص ٢٨٧

[٤] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى "مرجع سابق" ص ٣٢٣

[٥] شكيب أرسلان ، المرجع السابق جـ ٤ ص ٣٢٣

الإكراه فلقد فهموا القضاء الإلهى على معنى تنزيهى يرتفع به عن مباشرة القبائح أو التعلق بها ، لأنه تعالى بيده الخير" [١] . وهنا يجب التفرقة بين نوعين من القضاء الإلهى :

النوع الأول : قضاء كونى قدرى ضرورى الوقوع تعبيرا عن مشيئة الله النافذه فى ملكه التى لاتخلو من الحكمه والغاية ، ونفاذ القضاء الكونى فى ملك الله لايحاسب عليه الإنسان ثوابا أو عقابا .[٢] .

النوع الثانى : قضاء دينى تكليفى شرعى مبنى على الاختيار وإرادة الإنسان وهو يتعلق بالشريعة أمرا ونهيا ، وهو مناط الثواب والعقاب فى الآخرة [٣] .

والمعتزلة فهموا أن القضاء لا يكون إلا دينيا فقط وأهملوا القضاء الكونى ، مع أن العبادات إذا وقعت فعلا كانت بقضاء الله دينا وكونا ، والمعصية إذا وقعت كانت بقضاء الله كونا لا دينا ، والمؤمن مطلوب منه ان يؤمن بالنوعين من القضاء [٤] . " كما أخطأ المعتزلة حين ظنوا أنه يجوز للمؤمن أن يحتج بقضاء الله على المعصية لأن الواجب فى ذلك أن يؤمن بالقضاء ولايحتج به لأن الله قد أبطل هذا الأحتجاج بالقضاء والقدر حين لجأ بعض الناس إلى ذلك فأخبر الله أن : "... حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب عظيم " لأن الإيمان بالقضاء واجب والإحتجاج به مرفوض وباطل" [٥] .

ويضرب الأمير مثلاً يوضح به الفرق بين مذهب السنة ومذهب الإعتزال فيقول: "كان مرة أحد أئمة المعتزلة ، يباحث أحد أئمة أهل السنة ، فقال المعتزلى : "الحمد لله الذى تنزه عن الفحشاء "..فقال السنى : "الحمد لله الذى لايقع فى ملكه إلا ما يشاء ". فقال المعتزلى : " أيريد ربك أن يعصى ؟ " فقال السنى : " أيعصى ربك جبراً ؟ " [٦] .

والخطأ هنا أن المعتزلة خلطوا بين الإرادة الدينية والكونية ، كما لم يفرقوا بين القضاء الدينى والقضاء الكونى فأنكروا أن تكون المعصية مرادة لله ، كما أنكروا أيضا أن تكون بقضاء الله [٧] .

---

[١] ، [٢] ، [٣] ، [٤] ، [٥] د. محمد السيد الجليند ، قضية الخير والشر ص ٧ ، ٨٦ ، ٨٧

[٦] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامى ، ص ٣٢٣

[٧] د . محمد السيد الجليند ، قضية الخير والشر ، مرجع سابق ص ٨٨

والأمير شكيب أرسلان يرى " أن جمهور أهل السنة فرقوا بين الكسب وبين خلق الأفعال ، وجعلوا للإنسان جزءاً إختيارياً هو مناط الثواب والعقاب ، وشبهوا العبد الذى يعصى بعامل أمره السلطان بأن يكون عاملا على بلد كذا وأوصاه بالعدل والتقوى ، فذهب الى عمله وظلم الرعية وارتكب المعاصى ، فالسلطان من جهه لم يأمره بالظلم ولاأباح له تلك الأعمال الموبقة ، ومن جهه أخرى هو السبب فى وصول أذى ذلك العامل الى الرعية لأنه لولا تولية السلطان إياه ما تمكن من ظلمهم" [١] .

والأمير شكيب فى موقفه هذا متأثر بما ذكره أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده الذى قال : أن كل الطوائف الإسلامية فى هذا الوقت " يعتقدون بأن لهم جزءاً إختيارياً فى أعمالهم ، ويسمى الكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم ، وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الإختيارى ... وهو مورد التكليف الشرعى وبه تتم الحكمة والعدل " [٢] . وموقف الأمير هنا متأثر أيضاً بنظرية (**الكسب**) عند الأشاعرة ، " فلقد ذهب أبو الحسن الأشعرى فى تحديد علاقة الإنسان بفعله إلى أن قدرة الإنسان لا أثر لها فى خلق الفعل أو إحداثه ولا فى صفه من صفات الفعل وإنما تتعلق بالفعل على وجه آخر يسمى (كسبا) فالفعل مخلوق لله مكسوب للعبد فى وقت واحد ، وأن الله تعالى يحاسب العبد فى الآخرة ليس لكونه خالقاً للفعل أو فاعلاً له وإنما لكونه محلاً للفعل وكاسباً له " [٣] .

" والموقف الحق فى ذلك هو ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها حيث أثبتوا قدرة الإنسان وقالوا أنه فاعل لفعله حقيقة لامجازا ، والله خالق فعله حقيقة لامجازا . فقدرة الله تتعلق بالفعل من جهة الخلق من العدم ، وقدرة الإنسان تتعلق به من جهة فعله وإحداثه" [٤] .

---

[١] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ص ٣٢٤

[٢] رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام ، جـ٢ ص ٢٦١

[٣] د . محمد السيد الجليند ، قضية الخير والشر ، ص ٣٠٣

[٤] د . محمد السيد الجليند ، قضية الخير والشر ، مرجع سابق ص ٣١٧

٢ - الأشاعرة

يروى الأمير شكيب أن أبو الحسن الأشعرى المولود بالبصرة (سنة ٢٦٠) المتوفى ببغداد (سنة ٣٢٤) ، قد بقى إلى الأربعين من عمره ملازماً لأبي على الجبائى حامل لواء الاعتزال فى عصره والمتوفى (سنة ٣٠٣) ، آخذا برأيه ، إلا أنه لحظ فى آخر الأمر أن كثيرا من أقوال المعتزلة لا تلتئم مع روح الشرع ، ففارقهم وأخذ يرد عليهم ، وكتب كتبا كثيرة قيل بلغت ٣٠٠ مصنف [١] .

وقد رأينا الأمير يذكر رأى الأشاعرة فى صفات الله تعالى عندما عرض مذهب المعتزلة فى التوحيد ، كما وجدناه متأثرا بنظرية (الكسب) الأشعرية عند مناقشته لمسئولية الانسان عن أفعاله والعدل عند المعتزلة . والأمير لا يخفى إعجابه بالأشعرى ، وينقل عن دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية قولها : " إنه يعود إليه الفضل باستعمال المنطق والجدل فى العقيدة ، خلافا لعلماء الإسلام الأولين ، وأنه بذلك تمكن من مناظرة المعتزلة ، وسائر البدع ، فهو بالفعل واضع الفلسفة العقلية الاسلامية أى علم الكلام" [٢] .

ويقول الأمير شكيب أن الأشعرى بعد أن اعتزل الاعتزال ، صار ناصرا للسنه حتى صار نصف المسلمين تقريبا أو أكثر أشعرية فى علم الكلام ، ويستشهد بما ذكره عبد الوهاب السبكى فى (طبقات الشافعية) أن المالكية بأجمعهم وأكثر الشافعية هم أشاعرة ، أما الحنفية فيرجحون مذهب الماتريدى ، وهو يتفق فى الأساس مع الأشعرى ، ويباينه فى نقاط ثانوية .

أما الحنابلة فيردون كلام الأشعرى ويأخذون العقيدة بمثل ما اخذها السلف أى بدون فلسفة ، وقد يفرط بعضهم برفض التأويل فيرميهم الأشاعرة بالتجسيم ، وممن رد على الأشاعرة ابن حزم الظاهرى [٣] .

---

[١] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ص ٣٢٤

[٢] ، [٣] المرجع السابق ص ٣٢٥

ثم يعلق الأمير على ذلك بتأكيد اعجابه بشيوخ الأشاعرة ومتكلميهم فيقول : "ومما لا مشاحة فيه أن أعظم متكلمى الإسلام وسيوف السنه ، هم من الأشاعرة وذلك مثل : الباقلانى ، والقشيرى ، وإمام الحرمين أبى المعالى الجوينى ، ولو لم يكن منهم إلا حجة الإسلام الغزالى لكفى" [١] .

---

[١] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الاسلامى ، ص ٣٢٥ .

obeikandl.com

موقف الأمير شكيب أرسلان من الخوارج

- نشأة الخوارج
- فرق الخوارج وعقائدهم :

الفرقة الأولى : المحكمة

الفرقة الثانية : الأزارقة

الفرقة الثالثة : النجدات

الفرقة الرابعة : العجاردة

الفرقة الخامسة : الثعالبة

الفرقة السادسة : الصفرية

الفرقة السابعة : الأباضية

obeikandl.com

موقف الأمير شكيب أرسلان من :

الخوارج

نشأة الخوارج :

نشأت فرقة الخوارج فور إعلان نتيجة (التحكيم) بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وذلك عندما طال النزاع بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، واشتدت الحرب (في صفين) واتسع الخرق ، وملّ كثير من المسلمين القتال ، وتذاكروا فيما بينهم في طريقة ترفع الخلاف بدون استمرار على سفك الدماء ، فكانت هذه الطريقة هي (التحكيم) » [١]

ويروى أن معاوية رضي الله عنه حينما رأى بوادر انهزام جيشه استشار صاحبه عمرو بن العاص رضي الله عنه في حيلة تباعد بينه وبين عار الهزيمة فأشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على أسنة الرماح والمطالبة بتحكيم كتاب الله بين الفريقين وقد أثرت هذه الحيلة في صفوف جيش الخليفة الراشد رضي الله عنه حتى قال له الأشعث بن قيس الكندي وجماعة معه «وكان أميراً لعثمان على أذربيجان» القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف فقال لهم علي رضي الله عنه : أنا أعلم بكتاب الله وأشار رضي الله عنه إلى أن هذه حيلة ثم دعا رجاله إلى الاستمرار في القتال فأصر الأشعث ورفاقه على إيقاف الحرب وقالوا لعلي رضي الله عنه لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين وإلا فعلنا بك كما فعلنا بعثمان واضطر علي رضي الله عنه إلى أن يأمر الأشتر النخعي بوقف القتال .[٢]

فهذه الفئة التي سئمت الحرب ، حملت علياً رضي الله عنه على قبول (التحكيم) بينه وبين معاوية ، وهي التي أشارت بإقامة أبي موسى الأشعري حكما عنه ، ويرى

---

١ - شكيب أرسلان ،حاضر العالم الإسلامي ، جـ٤ ص٣٢٦ .

٢ - د. عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، ص١٠٤-١٠٥ .

الأمير (شكيب أرسلان) أن طريقة التحكيم في حد ذاتها كواسطة في حل المنازعات بين المتخاصمين سواء أكانوا دولاً أو فرقاً هي طريقة فذة سبق بها المسلمون عصرهم ، وهي التي يجاهد كثير من عقلاء الأوربيين اليوم في جعلها هي المرجع الأول في فض المنازعات بين الدول بالطرق السلمية ، غير أن القصة المشهورة عن سير التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما تبين سبب تفجر قيام الخوارج في الحال «إذ تعالت الهتافات من معسكر علي : كفر الحكمين (لا حكم إلا لله) وانقلب المؤيدون أعداء وأصبحوا أكثر خطراً على علي من جيش معاوية» [١]

ويروي الأمير شكيب أرسلان تلك القصة المشهورة عن خدعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري «بأن اتفق معه على أن يخلعا علياً ومعاوية جميعاً ، ويريحا المسلمين من هذه الحرب الطاحنة ، وأنهم بعد ذلك يقيمون لهم خليفة يختارونه ، ولما كان أبو موسى أكبر سناً من عمرو ، كان التقدم له في الكلام ، فقام وأشهد أنه خلعهما ، وجاء الدور إلى عمرو ، فقام وأشهد على أنه خلع علياً دون معاوية ، وكانت لهذه الخدعة رنة في الإسلام لا تزال الناس تتذاكرها إلى اليوم ، وبطل ذلك التحكيم ، واستمر القتال بين الفريقين» [٢]

وهذه الرواية على النحو الذي ذكره (شكيب) محل شك إذ يرجع الدكتور الريس رواية المسعودي لأنها تتفق مع العقل وتتلاءم مع شخصية أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل ، لأن هذه الرواية تنفي حدوث الخدعة ، وقد أخذ بالنص المروي عنها حيث قال فيه (ووجدت في وجه آخر من الروايات أنهما اتفقا على خلع علي ومعاوية ، وأن يجعلا الأمر بعد ذلك شورى ، يختار الناس رجلا يصلح لها) ، وبذلك أصبحت النتيجة الأخيرة للتحكيم ، رد الأمر إلى الأمة . [٣]

كما يروى الدكتور عبد القادر شيبة الحمد مسألة التحكيم بطريقة مختلفة فيقول :

---

١ - د. مصطفى حلمي ، نظام الخلافة ، ص١٥٤ .

٢ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، (مرجع سابق) ص٣٢٦ .

٣ - د. محمد ضياء الريس ، النظريات السياسية الإسلامية ، ص٤٨ ط ، ١٩٥٠م .

« .. ولما حان موعد التحكيم واجتمع الحكمان في دومة الجندل لم يؤد اجتماعهما للاتفاق على كلمة سواء ، بل أعلن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه لا يوافق أبا موسى في خلع علي ومعاوية وترك الأمر شورى ، وإنما يخلع علياً ويثبت معاوية » [١]

وأيا كانت الطريقة التي تم بها التحكيم ، فالثابت أنها أفرخت أول حزب سياسي في الإسلام هو الخوارج [٢] ، فخرجت تلك الفئة من طاعة علي ومعاوية معاً ، وانفردت برأي غير رأي الجماعة ، وهو أنه لا حكم إلا لله ورسوله رأساً بدون خلافة ، فسماهم الناس من أجل ذلك خوارج .[٣]

فرق الخوارج وعقائدهم :

الخوارج فرق متعددة جمعهم الإمام أبو الحسن الأشعري في أربعة فقط ، وهم : الأزارقة والأباضية ، والصفرية ، والنجدية ، واعتبر أن كل الأصناف سوى هذه الفرق تفرعوا من الصفرية .[٤]

وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان من فرق الخوارج تسع فرق ، وهم :

المحكمة ، والأزارقة ، والنجدات ، والبيهسية (*) والعجاردة ، والميمونية والأباضية ، والثعالبة ، والصفرية ، وقال إن هذه أشهر فرق الخوارج ، ويقال لهم أيضا الشراة لقولهم إننا شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة حين خرجنا على الأئمة الجائرة . [٥]

---

١ - د. عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، (مرجع سابق) .

٢ - د. مصطفى حلمي ، نظام الخلافة ، ص١٥٥ (مرجع سابق) .

٣ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (مرجع سابق) .

٤ - د. مصطفى حلمي ، نظام الخلافة ، ص١٦٢ (مرجع سابق) .

٥ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (مرجع سابق) جـ٤ ص٣٢٦ وما بعدها .

(*) وقد عد الأمير شكيب أرسلان فرقة «البيهسية» على أنها فرقة رئيسية من فرق الخوارج ، ولكن المشهور عن أهل العلم أنها تابعة للإباضية ، و (البيهسية) هم أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر - الذي خرج أيام الوليد - وهؤلاء يرون أنه لا حرام إلا ما وقع عليه النص بقوله تعالى «قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما» الآية ، ويكفرون الرعية بكفر الإمام . (شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، جـ٤ ص٣٢٧ (المرجع السابق) .

ويرى الأمير شكيب أن عمود مذهب الخوارج إنكار الخلافة ، وأن الحكم يستمد من القرآن رأساً فلا حاجة إلى الخليفة ، وأنهم يمنعون التأويل فيه ، وبعضهم ينكر كون سورة يوسف من القرآن ، ويقولون هي قصة من القصص ، وبعضهم يكفر بالكبائر ، ومنهم من يكفر بالإصرار على الصغائر ، ومنهم من يصوب فعلة عبد الرحمن بن ملجم ذلك الشقي الذي قتل عليا .. ومنهم من يجوز نصب الإمام ولكن لا يشترطون فيه النسب القرشي .[١]

الفرقة الأولى : المحكمة

وهم الذين يمنعون التحكيم ويقولون (لا حكم إلا الله) ، وهم في دفاعهم عن هذا المبدأ يعتقدون أنه لا تحكيم في دين الله لأحد من الناس إلا بالله ، ولهذا لا يحكمون بينهم حكماً ، فلما حكم أبو موسى الأشعري بين علي ومعاوية ، ثم قام بخلع علي ، كفروهم لأنهم حسب إعتقادهم جعلوا الحكم لأبي موسي الأشعري ، وينبغي ألا يكون هناك حكم إلا لله تعالى[٢] ، ثم ذهبوا إلى النهروان وعسكروا هناك ، وكانوا على مايروى أربعة آلاف مقاتل ، فصمد إليهم علي وما زال يقاتلهم ويستأصلهم اتقاء الفتنة وانتشار نظام الأمة ، إلى أن أفناهم على بكرة أبيهم ، ولم يفلت منهم سوى تسعة نفر ، قيل ذهب منهم اثنان إلى عمان ، واثنان إلى كرمان ، واثنان إلى سجستان ، واثنان إلى الجزيرة ، وواحد إلى اليمن .[٣]

ويروى أن علياً رضي الله عنه سألهم قبل بدء القتال : ماذا نقمتم منى ، قالوا نقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ماوجدنا في معسكرهم من المال ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية ، فقال رضي الله عنه إنما أبحت لكم أموالهم بدلاً عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم أما النساء والذرية فلم يقاتلونا وكان لهم حكم

---

١ - المرجع السابق نفسه .

٢ - د. مصطفى حلمي ، نظام الخلافة ، ص١٥٨ (مرجع سابق) .

٣ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، جـ٤ ص٣٢ (مرجع سابق) .

الإسلام بحكم دار الإسلام ثم لو أبحت لكم النساء أيكم كان يأخذ عائشة في سهمه فخجل القوم . [١]

ومن شبههم التي نقموا على عليّ رضي الله عنه فيها بزعمهم أنه محا إسمه من إمرة المؤمنين يوم كتب إلى معاوية ، ولم يضربهم - أي الخوارج - بالسيف حين نكوصهم عنه يوم صفين وكان واجبه أن يفعل ذلك ليرجعوا إلى الله ، وحكم الحكمين ، وزعم أنه وصى فضيع الوصية .

ورد عليهم علي رضي الله عنه مدافعاً عن نفسه في كل ما وجه إليه ، ودحض شبههم الباطلة بالحجة البالغة معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . [٢]

أما نزع إسمه من إمرة المؤمنين فكان لرسول الله صلوات الله عليه أسوة حسنة لأنه قبل أن يتخلى عن (محمد رسول الله) إلى (محمد بن عبد الله) لأن المشركين في صلح الحديبية لم يقبلوا إلا هذا وحجتهم في رفضهم أنهم لو آمنوا أنه رسول الله ما حاربوه ، وقبل النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال : «إن اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوتي وأمري) . [٣]

ورد على دعواهم بامتناعه عن قتلهم يوم صفين ، فاحتج بالآية الكريمة : «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» فعزف عن محاربتهم لكثرة عددهم ولقلة أعوانه .

وتحكيمه الرجال أيضا له من آيات الله أسانيد ، فإن الله حكم في أرنب يباع بربع درهم بقوله «يحكم به ذوا عدل منكم» ، فلو استرشد الحكمان بما جاء بكتاب الله (لما وسعني الخروج عن حكمهما) [٤]

وقد أثر بيان عليّ رضي الله عنه فيهم فقال أكثرهم صدق والله وأعلن التوبة

---

١ - د. عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، ص١٠٧-١٠٨ (مرجع سابق) .

٤/٣/٢ - د. مصطفى حلمي ، نظام الخلافة ، ص١٦٤-١٦٥ (مرجع سابق) .

وانحاز إليه منهم ثمانية آلاف مقاتل وأصر أربعة آلاف على القتال بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي ، فكانت موقعة النهروان في يوم ٩ صفر سنة ٣٣هـ .

الفرقة الثانية : الأزارقة

وهم أتباع نافع بن الأزرق ، وهم الذين خرجوا بفارس وكرمان أيام ابن الزبير ، وقاتلهم المهلب بن أبي صفرة .[١]

وخلاصة مذهبهم أنهم يحكمون على مخالفيهم من هذه الأمة بأنهم مشركون وكانت المحكمة الأولى تقول هم كفار لا مشركون .[٢]

وهم يكفرون علياً مع جمع من الصحابة ، ويصوبون فعل ابن ملجم ، ويكفرون القاعدين عن القتال مع الإمام ولو قاتل أهل دينه ، ويبيحون قتل أطفال المخالفين ونسائهم ، ويسقطون الرجم عن الزاني المحصن وحد القذف عن قاذف المحصن دون المحصنة ، ويكفرون بالكبائر ويقولون إن التقية غير جائزة .[٣]

الفرقة الثالثة : النجدات

وهم أصحاب نجدة بن عامر ، وهؤلاء يكفرون بالإصرار على الصغائر دون فعل الكبائر - فالإصرار على الصغيرة شرك في زعمهم وارتكاب الزنا والسرقة وشرب الخمر دون إصرار ليس بشرك إذا كان المرتكب من موافقيهم ، ويستحلون دماء أهل العهد والذمة وأموالهم .[٤]

ومن مذهبهم إكفار من أكفر القعدة منهم عن الهجرة إليهم ، وإكفار من قال بإمامة نافع بن الأزرق ، وأن الناس ليسوا بحاجة إلى إمام قط (وهو قول المحكمة) ، وجواز التقية .[٥]

---

١ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (مرجع سابق) ص٣٢٧ .

٢ - د. عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق (مرجع سابق) ص١١٢ .

٣ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (المرجع السابق) .

٤ - د. عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق (المرجع السابق) ص١١٨ .

٥ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (المرجع السابق) .

الفرقة الرابعة : العجاردة

وهم أتباع عبد الكريم بن عجرد من أهل فارس ، وهو في أصل مذهبه من النجدات ، ونسبه ابن حزم الى الصفرية ، وأشار الشهرستاني إلى أنه كان في الأصل من أصحاب أبي بيهس الآتي ذكره إن شاء الله .

ولما شاع ذكر عبد الكريم هذا ودخل في فتنته كثير من الناس أخذه خالد بن عبد الله البجلي القسري وحبسه ، فلما حبس افترق أتباعه على ثمان فرق موالية لعبد الكريم وإن كان بعضها يكفر بعضا ، ومن هذه الفرق (الميمونية) وهم أتباع ميمون بن خالد ، وقد ذهب ميمون إلى إنكار عموم قدر الله ومشيئته وزعم أنه ليس لله تعالى في أعمال العباد مشيئة وليست أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (وأن الله تعالى مريد الخير دون الشر) [١]، وقال : إن أطفال المشركين في الجنة وأن أصحاب الذنوب كفار وأنه يجب قتال السلطان ومن رضي بحكمه ، وأما غير السلطان فلا يجب قتاله إلا إذا أغار عليهم أو طعن في دينهم أو كان دليلاً للسلطان .

كما أنكر الميمونية أن تكون سورة يوسف من القرآن الكريم وقد نسب هذا القول إلى عبد الكريم بن عجرد .

«ويقال إنهم يجوزون نكاح بنات البنات ، وبنات أولاد الإخوة والأخوات ، ورد ذلك في بعض الكتب ومن جملتها (صبح الأعشي) » ويضعف الأمير شكيب الروايات التي ينقلها (صبح الأعشى) عن كتب زعم أصحابها استباحة ذوات المحارم عند بعض الفرق المخالفة لأهل السنة ، ويعلق على ذلك بقوله : «إن اختلاف العقيدة يورث من التباغض والتنافر ما ينتهي بوضع أخبار كثيرة لا صحة لها وبترويجها بين الناس حتى تصير قضية مسلمة .[٢]

ولكن الميمونة لا يختلف الناس في كفرهم لأنهم أنكروا ما علم من دين الإسلام

---

١ - المرجع السابق نفسه .

٢ - عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . (ص١٣٣-١٣٤ (مرجع سابق) - ١١٩) .

بالضرورة كإنكارهم (سورة يوسف) وإباحتهم بنات أولاد الإبن وبنات أولاد البنت وبنات أولاد الإخوة وبنات أولاد الأخوات .

الفرقة الخامسة : الثعالبة

هم أتباع ثعلبة بن مشكان أو ابن عامر وقد كان مع عبد الكريم بن عجرد حتى احتلفا في شأن الطفل فكفر كل واحد منهما صاحبه .[١]

وهم يرون الولاية على الصغير إلى أن يظهر عليه إنكار الحق فيتبرأون منه .[٢]

الفرقة السادسة : الصفرية

وهم أتباع المهلب بن أبي صفرة ، ويرجع الشيخ الكوثري تصحيح الاسم إلى زياد بن الأصفر ، وقيل بل سموا صفرية بسبب صفرة ألوانهم من شدة العبادة والسهر .[٣]

ومن رأيهم أن التكفير يقع فيما ليس فيه حد ، كترك الصلاة ، أما ما كان من الكبائر فيه حد الزنا ، فيكفي فيه الحد ولايجب فيه التكفير .[٤]

الفرقة السابعة : الأباضية

وهؤلاء ينتسبون إلى عبد الله بن إباض [٥] ، بكسر الهمزة وقد تلفظ بالفتح ، وكان أول خروج الأباضية في زمان مروان الثاني الأموي ، وكان يقودهم حينئذ عبد الله بن يحيى وأبو حمزة (١٢٩هـ) .

١/٣ - عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . (ص١٣٣-١٣٤ (مرجع سابق) - ١١٩) .

٢ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، جـ٤ ص٣٢٩ (مرجع سابق) .

٤ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (المرجع السابق) جـ٤ ص٣٢٩ .

٥ - شكيب أرسلان (المرجع السابق نفسه) ، (ومن الغريب أن ابن حزم رحمه الله ذكر أن عبد الله بن إباض رجع عن قوله إلى قول الثعالبة ، ثم قال : فبرئ منه أصحابه فهم لا يعرفونه اليوم - د. عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق (مرجع سابق) ص١٣٩ - ويذكر الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء ، (أن الأباضية أصحاب أباض بن عمرو الذين خرجوا من الكوفة) عن ..د. مصطفى حلمي ، نظام الخلافة (مرجع سابق) ص١٥٩ .

وقد تناول الأمير شكيب أرسلان فرقة الإباضية بتفصيل أكبر بكثير من تناوله لفرق الخوارج الأخرى ، كما فصل تاريخهم السياسي منذ نشأتهم حتى عصره ، وذلك لأن الأباضية أكثر فرق الخوارج إنتشاراً ، وكانت لهم بلدان ودول وحكومات كسائر فرق الإسلام الكبرى .[١]

وخلاصة مذهب الإباضية كما بينها شكيب أرسلان أنهم «يرون أن مرتكب الكبيرة كافر للنعمة ، لا كافر بالله ، ويرون أن دار مخالفيهم من الإسلام دار توحيد ، ولكن دار السلطان منهم دار بغي ، وهم يحتجون على كل من يتهمهم بمخالفة السنة ، ويقولون أنهم هم وحدهم الذين لم يحيدوا عن السنة ، ويقال أنهم يزعمون كونهم هم وحدهم الفرقة الناجية من أصل الثلاث والسبعين فرقة ، وهم لا يذكرون بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وأما عثمان وعلي فلا يعجبانهم إذ قد خالفا نهج الرسول والصحابين بزعمهم» [٢]

«ويقولون بوجوب نصب الإمام بين المسلمين إذا توفرت القوة والعلم لنصبه ، وأن القرشية ليست بشرط في الخلافة ، بل يكفي أن يكون الخليفة متصفاً بالفضيلة والتقوى ، سائراً بموجب الكتاب والسنة لتصح خلافته ، فإن انحرف عنهما وجب خلعه».

«ويقولون إن القرآن هو كلام الله خلقه الله تعالى ، وهو كقول المأمون العباسي ، وأنه تعالى لا يرى بالأبصار في الجنة ، وأن الثواب والعقاب أبديان ولا فناء للنعيم ولا الجحيم ، وأن الله يغفر الصغائر ولكنه لا يغفر الكبائر إلا بالتوبة» [٣]

«وهم يرجعون إلى الكتاب والسنة فقط ولا يعملون بالإجماع والقياس ، بل عندهم محلهما الرأي» [٤]

«وهم يقولون : إن كل مسلم مكلف أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأن على كل مسلم واجبات مفروضة نحو أخيه المسلم ، فمن لم يقم بما فرض عليه من هذا

---

١ ٣/٢/ - المرجع السابق نفسه .

٤ - تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامي ، جـ٤ ص٣٢٨-٣٤٦ .

التضامن الديني خسر حقه في حنو إخوانه المسلمين عليه ، ووجبت معاملته نظير عدو إلى أن يتوب وينيب»[١]

ومما ذكره الأمير شكيب أرسلان عن تاريخ (الأباضية) السياسي ، أن هذا «المذهب الأباضي» وجد في بلاد عمان بانفرادها ، وشحط مزارها ، وحيلولة الفلوات من جهة ، والبحار من جهة أخرى ، بينها وبين سائر الأقطار أندوحة اتسع بها ، وبسط جناحيه بدون زعج في قاصيتها ، وما زال ينتشر هناك حتى صار هو المذهب الغالب في بلاد عمان ومنها امتد إلى زنجبار . أما في شمال أفريقية فإن مذهب الأباضية ظهر في أواسط القرن الثاني للهجرة ، هو ومذهب الصفرية ، كلاهما من الخوارج ، وقد انتشرا كثيرا بين البربر الذين خرجوا مرارا على الدول العربية ، وكان أول دعاتهم في شمالي أفريقية أبو الخطاب عبد الأعلى بن السماح المعافري الحميري اليماني ، خرج في جبل نفوسة ، وهو أول إمام للأباضية في تلك الأقطار ، ويقولون أنه أحد الدعاة الخمسة الذين يسميهم الأباضية «حملة العلم» [٢]

ونشير هنا إلى إحدى تعليقات الأمير شكيب أرسلان على تاريخ الأباضية السياسي ، لأهمية هذه الجملة في بيان عقيدة الأمير، وتيقظه في فهمه لأهداف أعداء الإسلام ، ففي أثناء حديث الأمير عن الحركات السياسية والنزاع على السلطة في عمان في العصر الحديث ذكر شكيب أن (عزان بن قيس) ثار على (تويني بن السيد سعيد) حاكم عمان ، وأعلن الطاعة لابن سعود سنة ١٨٦٤م .

يقول شكيب : «ولما كان الإنكليز يعلمون أن الوهابية دعوة وأن الدعوات الدينية لا سيما إلى مبادئ السلف من الإسلام يخشى منها ، اهتموا بصدهم عن بلاد عمان ، وامدوا توينى بالمدافع والأعتاد ، وأشاروا إلى رؤساء البلاد بأن ينضووا تحت لواء السيد توييني» [٣]

٣/٢/١ - تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامي ، جـ٤ ص٣٢٨-٣٤٦ .

obeikandl.com

موقف الأمير شكيب أرسلان من البابية والبهائية

١ - البابية :

البابية من الفرق الباطنية ، وتسمى البابية نسبة إلى رجل كان يقال له ميرزا محمد على الشيرازي ولد بإيران في غرة محرم سنة ١٢٣٦هـ أو ٢٦مارس سنة ١٨٢١م ، «وهو الذي سمى نفسه (الباب) بمعنى الوسيلة الموصلة إلى معرفة الحقيقة الإلهية ، وتبعه أناس تلقبوا من أجله بالبابية» [١]

وفرقة (البابية) ظهرت في بلاد العجم ، وهي من أشهر الفرق الإسلامية التي ظهرت في العصر الأخير ، وتميزت بكون أتباعها لم ينحصروا في الشرق والعالم الإسلامي ، بل وجد منهم في أوروبا وأمريكا أيضا .[٢]

وقد كان السيد محمد علي الشيرازي من الشيعة الإثنى عشرية ولكنه بدأ يجمع إلى مذهبه مذهب الإسماعيلية ، واشتغل بالدراسات الفلسفية [٣] ، «وكان مغرماً منذ نعومة أظافره بالبحث في الأمور الإعتقادية ، نازعاً إلى النسك ، حتى قيل أنه حمل نفسه على التقشف والتعبد الشاق ، بحيث كان يقعد الساعات الطوال في عين الشمس حاسراً عن رأسه» [٤]

ويروي الأمير شكيب أرسلان أن الباب «زار كربلاء وأخذ عن رجل يقال له الشيخ البحريني ، ولما عاد إلى شيراز شرع يقرأ في المساجد ، ويحمل في الجدال على رجال الدين ، فمال كثيرون إلى مذهبه .. ثم ذهبَ إلى الحج وأثناء رحلته ألف بعض الرسائل يقال أن أتباعه يعتقدون ما فيها وحياً وإلهاماً» [٥]

١/٢ - تعليقات الأمير شكيب على حاضر العالم الإسلامي ، جـ٤ ص٣٥١ وما بعدها (مرجع سابق) .

٣ - عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، ص٩٣-٩٤ (مرجع سابق) .

٥/٤ - تعليقات الأمير شكيب على حاضر العالم الإسلامي ، (المرجع السابق نفسه) .

ومن جملة ما ينسب إليه أنه قال أن علياً هو قبل نبيل ، ونبيل هو عندهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم[١] ، وأنه خرج على الناس بفكرة أنه هو وحده الناطق بعلم الإمام المستور وأنه الباب إليه ، ثم ادعى أنه المهدي المنتظر ، ثم ادعى أن الله قد حل فيه وأنه هو الذي به يظهر الله لخلقه وأنه هو السبيل لإظهار موسى وعيسى في آخر الزمان ، ثم أعلن عدم إيمانه باليوم الآخر وأنكر الجنة والنار ، وذكر أنها رموز لحياة روحية متجددة ، ونحى منحى البراهمة والبوذيين .[٢]

ثم زعم أنه يجمع بين اليهودية والنصرانية والإسلام وأنه لا فرق بينها ، ثم أنكر أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين ، وأنكر كثيراً من الأحكام الإسلامية المعلومة من الدين بالضرورة ، وقد اطلع الأمير شكيب أرسلان على مؤلف له بالعربية يقول فيه : «إن الأنبياء أولى العزم كلما انقضت شريعة واحد منهم قامت قيامته ، وانتهى دوره ، وجاء دور الآخر كلما انقضت شريعة واحد منهم قامت قيامته ، وانتهى دوره ، وجاء دور الآخر وهكذا جاء آدم ، وبعد آدم نوح ، وبعد نوح إبراهيم ، وبعد إبراهيم موسى ، وبعد موسى عيسى ، ، وبعد عيسى محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وبعدمحمد الباب مؤسس هذه النحلة المسماة بالبابية» [٣] .

ويروى أنه ألف كتابا سماه البيان وزعم أنه كالقرآن [٤] ، وممن قبلوا هذه الدعوة في طهران الأخوان «ميرزا يحيى نوري» الملقب بعد ذلك «بصبح أزل» و «ميرزا حسين علي نوري» ، الملقب فيما بعد «ببهاء الله» ، وكذلك خاتون اسمها «زرين تاج» ولقبها «قرة العين» كريمة الملا صالح الباراكاني من قزوين .[٥]

ولما استفحل شأن الباب وكثر أتباعه أجمعت الحكومة الفارسية على استئصال

---

١ - تعليقات الأمير شكيب على حاضر العالم الإسلامي ، (المرجع السابق نفسه) .

٢ - عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق (المرجع السابق نفسه) .

٣ - تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامي ، (المرجع السابق نفسه) .

٤ - وهذا الكتاب بالعربي والفارسي ، وله أيضا كتاب (بين الحرمين) و (تفسير سورة يوسف) (المرجع السابق) .

٥ - تعليقات الأمير (المرجع السابق) .

شأفتهم ، فقبضت على الباب واعتقلته في قلعة (ماكو) باذربيجان ، وأخرجوا (صبح أزل) وأخاه (بهاء الله) إلى بغداد ، ثم أرسلا إلى أدرنة بالإتفاق بين الدولتين العثمانية والفارسية، ثم وقع الخلف بين الأخوين ، فأرسلت الدولة بهاء الله إلى قلعة (عكا) ، وصبح أزل إلى جزيرة قبرص . وأما (قرة العين) فإنهم أخرجوها لعهد الباب نفسه إلى بغداد ، وأنزلوها في بيت الآلوسي مفتي بغداد .[١]

وينفي الأمير شكيب أرسلان ما قيل في شأن (قرة العين) هذه ، وقال إن الآلوسي قال عنها فيما بلغ (شكيب) ، (ماعهدت عليها من سوء) ، وقال أنها كانت تناظر المفتي الآلوسي وتباحثه وتدافع عن مذهبها ، ويروي عن (عباس أفندي) الملقب بعبد البهاء ابن بهاء الله إمام البابية ، وابن إمامها ، أن قرة العين بما أوتيت من الذكاء والفضل ، وسرعة الخاطر ، كانت تعجز المفتي الآلوسي على غزارة علمه ، وزخور بحر فضله [٢]

وقد أعدم الباب في تبريز في ٢٧ شعبان سنة ١٢٩٦هـ وفق ٨ تموز سنة ١٨٥٠م[٣]

٢ - البهائية :

ينقل الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على حاضر العالم الإسلامي عن المسيو (هوارت Huart) المستشرق الفرنساوي في فصل له على البابية في الإنسيكلوبيدية الإسلامية الفرنساوية ما أخذه عن (بيان) الباب من تعاليم البابية دون أن يتعرض لهذا الموضوع بجرح ولا تعديل تاركا عهدته على رواته ، ثم ينقل عنه أيضا ترجمته (لبهاء الله ميرزا حسين علي نوري) الذي نسب المذهب إليه فيما بعد فقيل (البهائية) فقال :

«إنه ولد في نور من بلاد المازندران في ١٢ نوفمبر سنة ١٨١٧م ، ولما بلغ الثلاثين من العمر اتبع طريقة الباب ، وكان أخوه من أمه ميرزا يحيى الملقب بصبح أزل

١/٢/٣ - تعليقات الأمير (المرجع السابق) .

قد أخذ بهذه العقيدة من قبل ، ولم يشاهد بهاء الله الباب بذاته لكنه أحبه بالغيب وصار أعظم مريديه بل سبق الجميع في هذه العقيدة ، وشحط الأولين والآخرين في هذه الطريقة الجديدة ، حتى صار عند جمهور البابية هو خليفة الباب ، والمصلي بعد الإمام في المحراب ، وفي سنة ١٨٥٢م أبعدته الحكومة الفارسية إلى بغداد على أثر محاولة أحد البابين قتل الشاه وتعاظم الفتنة ، فأقام بنواحي السليمانية معتزلاً معتكفاً مشيراً إلى أنه هو الرجل الذي بشر بمجيئه الباب في قوله «من يظهره الله» ووضع هناك قواعد الدعوة التي قضد جعلها ديانة عامة ثم نقل إلى أدرنة سنة ١٨٦٤م ، ثم إلى قلعة عكا في شهر أغسطس سنة ١٨٦٨م ، حيث أدركته المنية في ٢٩ مايو (أيار) سنة ١٨٩٢م، تاركاً خلافته الروحية إلى ولده الأكبر عباس أفندي الملقب عبد البهاء» [١] .

«وأما عقيدته فقائمة بأن لا يؤذي الإنسان أحداً ، وأن يحب الخلق بعضهم بعضاً ، ويتحملوا الظلم بدون مقابلته بالمثل ، ولا يشتغلوا إلا بالخير ، وأن يوطنوا أكنافهم ويعنوا بأمر المرض» [٢]

«والغاية من هذه الحياة هي السلام العام بواسطة هذا المذهب المجرد من الرهبانية والشعائر (التي يقال لها عند النصارى الطقوس) بل كل مدينة يلزم أن تؤسس لها معهداً للإجتماع تجلس فيه لجنة مديرة مؤلفة من تسعة أعضاء يقال لها «بيت العدل» ويكون دخل هذا البيت من التركات التي لا يوجد لها وارث ، ومن متحصل الغرامات ، ورسم ١٩ في المائة على رأس المال ، يؤدي مرة واحدة لاغير» [٣]

«وممنوع في مذهبه التقشف والتبتل ، لأن الله خلق الإنسان وأحل له الطيبات من الرزق» [٤]

«وللبهاء تآليف أهمها «الكتاب الأقدس» (طبع في بمباي وبطرسبرغ) وكتاب

٣/٢/١ - تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامي (المرجع السابق) جـ٤ ص٣٥٥-٣٥٨ .

٤ - المرجع السابق ، وقد نقلنا هذا النص لنظهر جهود المستشرقين في إبراز هذا المذهب وعنايتهم بترجمته وعرضه على أوسع نطاق .

«الإيقان» (ترجمة دريفوس وحبيب الله الشيرازي في باريس سنة ١٩٠٤) وطرازات كلمات فردوسية وإشراقات وتجليات (ترجمت في قواعد البهائية سنة ١٩٠٦م) «وكلمات مكنون» (مطبوع بباريس سنة ١٩٠٥) و «دروس عكا» التي جمعتها ما دام كليفورد بارنادي ... و «النور الإبهى» (مطبوع بلندرة سنة ١٩٠٨) ترجمة عن الأصل الفارسي المسيو دريفوس ... »

«ولدريفوس المذكور كتاب على البهائية وتاريخها وأثرها الإجتماعي وقد ذكرها (براون) في كتابه «سنة بين العجم»

ويعلق شكيب أرسلان على النصوص السابقة بأنه نقلها عن المستشرق هوارت بدون زيادة ولا نقصان، والعهدة في كل ذلك عليه وعلى من نقل عنهم .[١]

ولكن الأمير يعود فيقرر «أن البهاء وأولاده بمقامهم هذه المدة الطويلة بعكا أصبحوا بأشخاصهم معروفين لدى أهالي بلادنا المعرفة التامة ، بحيث صفا جوهرهم عن أن تعتوره الجهالة ، وامتنعت حقيقتهم عن أن تتلاعب بها حصائد الألسنة» [٢]

ويؤكد الأمير شكيب أن البهاء في فترة إقامته (بعكا) كان يقضي وقته معتزلا معتكفا ، وأنه ما اطلع له أحد على سوء ، ولا مدعاة شبهة في أحواله الشخصية كلها ، ويروي (شكيب) أنه عرضت خصومة بين ولد البهاء (عباس أفندي) وبعض المتمولين على حدود أرض فوصلت إلى المرافعة فكتب البهاء إلى ولده : «يا عباس اتتنازعون وتترافعون على حفنة تراب ؟» فترك عباس الدعوى من فوره .[٣]

أما أولاد البهاء فكانوا أربعة السادة عباس ، ومحمد علي ، وضياء ، وبديع الله، وفي عام ١٩٢٢م انتقل إلى الدار الآخرة عبد البهاء عباس ، وقد ذرف على الثمانين.[٤]

---

١ - المرجع السابق ، وقد نقلنا هذا النص لنظهر جهود المستشرقين في إبراز هذا المذهب وعنايتهم بترجمته وعرضه على أوسع نطاق .

٤/٣/٢ - المرجع السابق .

ولقد بالغ الأمير شكيب كثيراً في مدح مزايا عبد البهاء عباس أثناء تأبينه له ، وأشار في معرض ذلك إلى مسألة خطيرة ، وهي مرافقة نحو مائة وخمسين شخصاً من أتباع طريقة البهاء من الإيرانيين البهاء وأهله في منفاهم في عكا ، وليس فيهم إلا صاحب صنعة أو عمل ، وقد هجروا أوطانهم حبا بجوار البهاء وأولاده ، وكان عباس أفندي يكنفهم بظله ويتعاهد جميعهم بفضله .[١]

ويذكر شكيب أرسلان أنه اتصل بعبد البهاء عباس أثناء إقامته في عكا ، وجمعت بينهما صداقة ومودة ، حاول شكيب أن يستثمرهما من أجل أن يتعرف على حقيقة العقيدة البابية ، وصحة ما ينسب إليها ، فقصد عكا مراراً ولا غرض له سوى الإستماع إليه ، وسؤاله عن حقيقة مذهبه ، يقول شكيب :

«وداو رته مرة على الكلام في موضوع العقيدة البابية بدون أن أسأله عن ذلك رأساً ، بل كنت أجيء إليه من باب المعاريض استطراقا ، وأحاول أن أحمله على هذا البيان استطراداً ، فسألته عما إذا كان من الممكن تمثيل الصفات الإلهية في أحد البشر بدون تصريح ، إلى ما يقال من كون الباب أو البهاء هو مجلي الصفات الربانية على الأرض ، فأجابني بأن الصفات معان ، والمعاني لا تتجسم ولا تتشخص ، وأن المجردات لا تتجسد ، وأفاض في هذا الموضوع بالنفي وتبيين وجوه الإستحالة ، فأجبته : «فلماذا يقال إذاً أن بعض البشر يمثلون الصفات الألهية على الأرض أو أنهم مظهر الألوهية في الخلق ؟» فقال لي : «ليس الأمر كذلك ولكن الحديث يستفيض من القديم بقدر استعداده» وكررها : «بقدر استعداده ، بقدر استعداده» ففهمت من هذا أن مقصودهم هو كون بعض النفوس مستعدة للكمال أكثر من سواها ، فهي تقتبس من النور القدسي بقدر صفاتها ، وأن هذا مبلغ عقيدتهم في الباب أو البهاء ، أو مبلغ عقيدة عباس أفندي نفسه ، الذي كان فيلسوفا متكلما فلا يمكن أن تكون عقيدته عقيدة العوام من البابيين»[٢]

٢/١ - تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامي (المرجع السابق) جـ٤ ص٣٥٩-٣٦٠ .

ويتذكر شكيب أن عبد البهاء عباس كان يشرح مرة عقيدة القضاء والقدر فقال له شكيب : «إلا أن هناك من يقول في التعريف ما هو كذا وكذا» فقال عباس : «هؤلاء هم العوام» فقال شكيب له : «كلا بل من العلماء من يقول هذا» فقال : «والعلماء فيهم عوام أيضا» .[١]

وأخيراً فإن شكيب أرسلان يرى أن من واجب المؤرخ أن يثبت أنه بعدموت (بهاء الدين) وقع الخلف بين أولاده عبد البهاء من جهة ، ومحمد علي أفندي ، وضياء أفندي، وبديع الله أفندي ، من جهة ثانية ، وكانت دعوى عبد البهاء أن إخوته نفسوا عليه الرئاسة وهو أحق بها وأولى ، ودعوى إخوته أنه خالف وصايا والدهم في كثير من الأمور ، مما جعل النفرة والجفاء يتمكنان من قلب عبد البهاء نحو إخوته ، حتى بعدأن سلموا له ، وما زال على الصرم والهجران حتى توفاه الله ولم يعقب ولدا ذكراً ، فلم يستخلف أحداً من أخويه الباقيين ، وفضل عليهما حفيده من أولاد بنته فوقع الخلاف أيضا بعد موته ، وانقسمت الفرقة البهائية إلى قسمين : منهم من يتمسك بوصية عبد البهاء ، ومنهم من لا يرى له حقاً في ذلك ، ويوجب إنتقال الزعامة إلى أخيه السيد محمد علي أفندي . [٢]

---

١ - تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامي (المرجع السابق) جـ٤ ص٣٥٩-٣٦٠ .

٢ - تعليقات الأمير على حاضر العالم الإسلامي (المرجع السابق) جـ٤ ص٣٦١ .

نقد موقف الأمير شكيب أرسلان من البابية والبهائية

الدعوة البابية أو البهائية هي دعوة قديمة مجددة شكلتها أصول متعددة من الفكر الوثني والفكر التلمودي اليهودي والفكر المجوسي ، وهي واحدة من الدعوات التي ظهرت في إبان الإستعمار البريطاني بهدف إسقاط فريضة الجهاد أو تعطيلها ، وقد دخل يهود إيران هذه الحركة وحولوها وجهة متصلة بالماسونية ، وتحاول البهائية نشر دعوة وحدة الأديان بالخروج عن أصولها للدخول في دين جديد ، يقول بالسلام العام وتوحيد لغات العالم ومساواة الرجل بالمرأة ، واعتبار العبادة هي العمل .[١]

ولقد بنى الأمير شكيب أرسلان موقفه من البابية على التشكك فيما نسب إليهم من عقائد ، وكان يقول «إننا تعودنا من أهل الفرق الكبرى شرقاً أو غرباً وفي الإسلام أو في النصرانية ، أنه كلما خرج عليهم خارج رموه بكل عضيهة» [٢] وذلك لأن «إختلاف العقيدة يورث التباغض والتنافر ما ينتهي بوضع أخبار كثيرة لا صحة لها وبترويجها بين الناس حتى تكاد تصير قضية مسلمة» [٣] لذلك سعى الأمير شكيب إلى التعرف على العقيدة البابية بنفسه من إمامها عباس أفندي الملقب (بعبد البهاء) كما بينا ، وقد يكون الأمير محقاً في منهجه في البحث عن الحقيقة وفي تريثه وتثبته قبل حكمه على إحدى الفرق التي تنسب إلى الإسلام ، ولكن هذا المنهج هو محل نظر إذا كانت هذه الفرقة تنسب إلى الفرق الباطنية التي قد يظهر أتباعها غيرما يعتقدون لإيمانهم بالتقية والقول بالباطن .

ويعلق الأمير شكيب على الفتنة التي أحدثتها الدعوة البابية في العالم الإسلامي ، ومواجهة كثير من الباحثين لها ، وكشف زيفها فيقول : «أما من جهة تعاليم البابية فقد اختلفت الأقوال كثيرا ، وطعن فيها أناس كثيرون ، من جملتهم السيد جمال الدين الأفغاني ، ولعل وجه الطعن فيها هو بروزها بشكل شريعة جديدة ، حال كون الشرائع

---

١ - أنور الجندي ، محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل ، مج٥ ، ص٣٩٣-٣٩٤ .

٢ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي جـ٤ ص٣٥٢ (مرجع سابق) .

٣ - المرجع السابق نفسه، جـ٤ ص٣٢٨ .

كلها قد ختمت بالرسالة المحمدية ، فأما إذا تلقاها الإنسان على شكل وصايا وعزائم ، كما هو الشأن في الطرق الصوفية المتعددة ، فإنه يجد فيها كثيرا من الآداب السامية ، والمبادئ المعقولة » [١]

ولكن البابية لم تكن مجرد آداب ومبادئ معقولة فهي تدعو إلى وحدة الأديان وتدعو إلى وحدة الأجناس والشعوب ، وتحاول التبشير بعصر جديد يشرق على البشرية ، وهذا هو جماع ما حملته بروتوكولات صهيون ، ولا ريب أن كل دعوة تدعو إلى وحدة الأديان والأجناس إنما تحاول هدم الإسلام لأنه الدين الوحيد الذي يراد له أن يندمج وأن ينصهر وعالمية الأديان لا تستهدف إلا القضاء على عالمية الإسلام [٢]، وهذه المعاني كلها مستمدة أساساً من التلمود ، وأبرز معاني البهائية إسقاط فريضة الجهاد وهي دعوة حين تنشر بين المسلمين لا تفيد منها إلا الصهيونية العالمية التي تحرص على كلمات (الحرية والمساواة والإخاء) [٣]

والبهائية في أنظمتها أقرب إلى الماسونية وقد وجدت مناخها في كل المناطق التي ضعفت فيها يقظة الإسلام ، فقد استوطن البهائيون تركيا ، وعكا ، وحيفا قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان لذلك أثره البعيد في إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . [٤]

ويقول شكيب : «ولسنا نعرف بالتدقيق عدد الفرقة البابية ، فمنهم من يقول أنهم زهاء مائة ألف نسمة في العجم ، ومنهم من يقول بل ١٥٠ ألفاً ، ويقال أن منهم بالهند ، وبمصر ، بين الإيرانيين المقيمين بهذه الحاضرة ، ومنذ نحو ٢٠ سنة أخذنا نسمع أن هذا المذهب انتشر بأمريكا ، وأنها قد ترجمت عقيدته إلى الإنجليزية ، وأخذ بها أناس كثيرون» [٥]

---

١ - شكيب أرسلان ، المرجع السابق نفسه ، جـ٤ ص٣٥٤ .

٢ - أنور الجندي ، محاولة لبناء ، (مرجع سابق) .

٣ - د. مصطفى حلمي ، الإسلام والأديان ، ص١٧٢ .

٤ - أنور الجندي ، محاولة لبناء ، (مرجع سابق) .

٥ - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (مرجع سابق) جـ٤ ص٣٦٠ .